الجزء ١٠ المجلد ٥



(دمشق) تشرين اول سنة ١٩٢٥ م الموافق ربيع الاول سنة ١٣٤٤ هـ

تحفة ذوي الالباب

لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي المتوفي سنة ٧٦٤ نفس طويل في التأليف وجميع ماخلفه من بنات افكاره في التاريخ والادب بديع فريد . وآخر ما اطلعت عليه من كتبه بعد كتاب الوافي في الوفيات (المقتبس م ٨ ص ٧٧٢) كتاب تحفة ذوي الالباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب استنسخه بالتصوير الشمسي من خزانة الامة بباريس صديقنا العلامة احمد تيمور باشا عن نسخة كتب عليها انها من وقف المرحوم اسعد باشا العظم حاكم دمشق على مدرسة والده المرحوم اسماعيل باشا والنسخة قديمة النسخ مكتوبة بخط محمد بن سليمان بن ابي بكر الاذرعي وفي آخرها ترجمته منقولة من كتاب قطف الشمس من مرويات الشيخ ناصر الدين بن ابي عمرو لابن طولون الحنفي الصالحي جاء فيها انه ولد سنة ٧٥٠ وتوفي سنة ٨٤٠ وفي آخر النسخة انه فرغ من كتابتها سنة ٧٩٥ وفي المتحف الآسياوي في لينينغراد (بطرسبرج) نسخة من هذا الكتاب . والكتاب ارجوزة من نظم المؤلف وعليها شرح له لم يلتزم فيها تنسيق الولاة والنواب بحسب ازمانهم بل قد يقدم فيهم ويؤخر ويعرف الترتيب من الشرح الذي جود فيه من وراء الغاية ولا غرو فقد امتاز الصفدي بتراجم الناس وتصوير حياتهم . وقد وصل بكتابه هذا الى نيابة الامير علي علاء الدين المارداني الثانية سنة ٧٦٠ وبدأ ارجوزته بقوله .

الحمد لله القديم الدائم   مقدر الموت على ابن آدم
في ملكه يفعل مايريد   مالا مرئ عما قضى محيد

مازال يؤتي الملك من افادا ويزنع الملك اذا ارادا
يعز هذا ويذل هذا اذا قضى امراً مضى نفادا
ليس لما بفعله تعليل وكلما قدره جميل
في غاية الحكمة والنظام يعرف ماقلت ذوو الافهام

الى ان قال: وبعد فالمقصود من ذا الرجز حسن البيان في كلام موجز
اذكر فيه الخلفا والامرا على دمشق نسقاً كما ترى
قلدت فيه الحافظ العساكري لانه الذي حلا بخاطري
لكنه على الحروف رتبه فضيع المقصود منه واشتبه
ولم يصل الا لنور الدين وعاق ذاك وارد المنون
وقد ذكرت من اتى من بعده ليومنا فاستجل در عقده
ولم أخلّ منهم بفرد فيما علمته اوان السرد
ولم يكن فذاك شيءٌ نادرْ لم تضمنه حشا الدفاترْ

وقد بدأ الكتاب بفصل في فضل دمشق وتكلم على دولة الخلفاء الراشدين والدولة الاموية فالعباسية فالطولونية فالقرامطة فالاخشيدية فالفاطمية فالحمدانية فالسلجوقية فالنورية فالايوبية فالتركية البحرية المصرية · يأتي ببيت او ابيات يشرحها في صفحة او صفحات وقد وقع الكتاب في نسخة الاصل في ٤٥٨ صفحة متوسطة القطع جميلة الشكل والوضع · وبعد ان اورد الصفدي بعض فضائل دمشق قال:

هذا واما وصفها بالشعر فذاك شيءٌ مثل موج البحر
لم يحصر الضبط لذاك عدا لانه الى الفوات عدّى
قصائد بيوتها جواسق كأنما من حسنها حدائق
وكل مقطوع غدا موصولا بلذة عن الردي مفصولا
لها معان بالعقول تلعب من رام يحكيها فذاك اشعب
فطر الى ربوعها وحاق فليس تحوي الارض مثل جلق
فنسأل الله لنا الاقامة في صحة منها وفي سلامة

قال واما الاشعار التي جاءت في اوصاف دمشق وذكر محاسنها فشيءٌ خارج عن

الحد ينبو الضبط عن حصره و يكل فيه كل حد . ومما ذكره للعماد الكاتب :

اهدى النسيم لناريا الرياحين ام طيب اخلاق جيراني بجيرون
هبت تنبه اطرابي وتبعثها مني وتوجب للتهويم تهويني
وما دريناأ« داريا » لنا ارجت ام دارفي دارنا عطار «دارين»
ورب هم فقدناه « بربوتها » ورب قلب اصبناه « بِمُقْلُبين »
لولا جسارة قلبي ماثبت على العبور من طرب في جسر « جسرين»
يصبيك«ميطورها»طوراً ونيربها طوراً و يوليك احسانا بتحسين
نعيمها غير ممنوع لساكنها كالخلد والمنُّ فيها غير ممنون
اهوى مقري بمقرى والرياض بها للزهر مابين تفويف وتزيين
هاجت بلابل قلبي المستهام بها بلابل الايك غنتنا بتلحين
تتلو « بسطرا »اساطير الغرام على صوامع الدوح ورق كالرهابين
قمريها مقريٌ يشدو بنغمته آياً يعلمها من غير تلحين
وقد تراءت بها الاشجار تحسبها صفوف خيل صفوف في الميادين
وللخلاف لاظهار الخلاف على اترابه ورق مثل السكاكين
والماء من نكبة النكباء في زرد مضاعف السرد صافي النسج موضون
حرستاني (حرستا) العيش من شظف دوماً بدوما على حفظ القوانين

وقال ابن منير الطرابلسي :

حيِّ الديار على علياء « جيرون » مهوى الهوى ومغاني الخرد العين
مراد لهوي اذ كفي مصرّفة اعنة العيس في فيح الميادين
«فالنيربين» «فمقرى «فالسرير»«فجمرا يا » فجو حواشي جسر « جسرين»
« فالقصر » « فالمرج » «فالميدان »« فالشرف الاعلى»«فسطرا»«فجرمانا»«فقابين »
« فالماطرون » « فداريا » فجارتها «فآبل » « فمغاني » « دير قانون »
تلك المنازل لا« وادي الاراك » ولا «رمل المصلى» ولا اثلات « يبرين »
واهاً لطيب غديات الربيع بها وبرد انفاس آصال التشارين
اشتاق « برزة » درنا و«الارزة »من حربا وابلى لفروى في صريفين (؟)

هيهات شط حميم الشط عن خصر يشدو ويسعده طير البساتين
يوم كافور حصباء العيون به عن طل عنبر اصداغ الرياحين
ويطبيني لدار الروم ماشهرت «بدير مران» اعياد الشعانين
ابدت دمشق ربيعاً جل صانعه يأتيك في كل حين غير مكنون

وقال شهاب الدين فتيان الشاغوري يصف اصول انهار دمشق ومواضع من القرايا الجبلية .

اذا جزتما بالعيس دورة «آبل» فداست بايديها تراب المزابل
اعيرا يسار الركب لفتة ناظر الى بردا والروض ذات الخمائل
هنا لكما نهر يرى النيل عنده اذا فاض في مصر كبعض الجداول
تخال به النيلوفر الغض انجماً سمت في سماء الماء غير اوافل
كأن طيور الماء فيه عرائس جلين على شاطيه خضر الغلائل
اذا كرعت فيه تيقنت انها تزق فراخاً وهي زغب الحواصل
وكم سمك فيه عليه جواشن من التبر صيغت وهو بادي المقاتل
جريح باطراف الحصى تخر بره انين له مرني مس تلك الجنادل
اذا قابل النهر الدجى بنجومه ارانا بقعر الماء ضوء المشاعل
تغلغل في الوادي فوافى كقينة منعمة حسناء ليست بعاطل
فعانقها حتى انثنت مشمعلة تقل على ظهر الصفا بطن حامل
فاول «عين الفيجة» الانهر التي دمشق بها في البحر وسواحل
الا ان في الوادي ظباء جفونها بها كحل ازرى بما في المكاحل
وبالبقعة الفيحاء عوجا فانها تهيج لرائيها رسيس البلابل
وبالسفح من اعلى «سنير» منازل نعمت بها واهاً لها من منازل
«وبالزبداني» زبدة العيش جاءني بها المخض من محض الضروع الحوافل
ومازال ربع الانس في كف عامر يرى عامر الارجاء عذب المناهل
وفي «عين طور» حور عين فواتك الحاظ فصاح اللفظ خرس الخلاخل

« ودير قبيس » جنة أي جنة مشاربها مشفوعة بالآ كل
احن الى افناء اشجار « دمر » واصبو الى الظل الظليل « بآبل »
و ياحبذا تلك الجديدة التي مرابعها معمورة بالمناهل
مرابع قد القى الربيع جرانه بها مقسماً ان ليس عنها براحل

ولفتيان الشاغوري غرام بالزبداني ور باعها وكان اقام فيها مدة وهو القائل في جنتها وهي ارض فيحاء جميلة وقد ابدع ابياتاً ساقها في ترجمته ابن خلكان :

قد اجمد الخمر كانون بكل قدح واخمد الجمر في الكانون حين قدح
ياجنة الزبداني انت مسفرة بحسن وجه اذا وجه الزمان كلح
فالثلج قطن عليك السحب تندفه والجو يحلجه والقوس قوس قزح

* * *

حوت ارجوزة الصفدي من الشعر الطفه واكثفه وذلك لان ايراد الوقائع التاريخية في الاوزان لايخلو ابداً من تكلف وتعسف فالعبرة بكتابه اذاً بسرد الوقائع نثراً بعد ايراد الشعر . وتراجم الرجال الذين اوردهم والوقائع التي الم بها كتبت ببيان شاف يتدفق الادب خلالها . والى القارئ مثالاً من ارجوزة الصفدي في ايام الوليد بن عبد الملك :

ثم تولى امرها الوليد وذكره في الدهر لا يبيد
عمر هذا الجامع السعيدا فجاء في بنائه فريدا
متسع الارجاء والاقطار وكل حسن فعليه طاري
ابوابه الحسنى لها الزيادة وليس يخلو قط من عباده
مآذن تطرب كالشبابة تنصب للتوحيد كالسبابة
وكم عمود قام تحت قاعدة طول المدى وذاك بالمشاهدة
دل على العموم من خصوصه يلعب بالعقول من فصوصه
فسورة الزخرف منه تتلى طول المدى آياتها ماتبلى
يعرب بالاعجاز عن بنائه كما يفوح المسك في ثنائه
يطرب كل من غدا يشيد وكيف لايطرب وهو معبد

وللصفدي اقتباسات واستشهادات هي الادب بعينه تغني عن دواوين كثيرة هاك مثالاً منها :

كتب نصر بن سيار الكناني متولي خراسان الى مروان بن محمد لما كثر عيث المسودة (العباسيين) وقويت شوكتهم :

اقول من التعجب ليت شعري أأيقاظ أمية ام نيام
هم عز الاباطح من قريش وكاهلها المقدم والسنام
اذا صدعٌ تفاوت لا تؤوه وما صدعوا فليس له التيام
تحرّمت العرى من كل عب وعج لحمله القلب العتام(؟)
فاين عهودنا اللائي عليها اقر العهد وانعقد الذمام
انحميها ويحلبها سوانا ومنا حولها النجب اللهام
تعزي عن زمانك ثم قولي على الاسلام والعرب السلام
ارى خلل الرماد وميض جمر ويوشك ان يكون له ضرام
وان لم يطفه عقلاء قوم يكون وقودها جثث ضخام
فان النار بالزندين توري وان الحرب مقدمه الكلام

قلت (الصفدي) تشبه ما ذكره ابو عبد الله الالوسي قال لما صار جيش الدعي بالنعمانية طرحت رقعة في دار الناصر مختومة فجاؤا بها الى الموفق فقال فيها عقرب لا شك فاذا فيها :

ارى ناراً تؤجج من بعيد لها في كل ناحية شعاع
وقد نامت بنو العباس عنها واضحت وهي غافلة رتاع
كما نامت أمية ثم هبت لتدفع حين ليس لها دفاع

فامر الموفق من ساعته بالارتحال الى البصرة ·

ومما اورده من النكات نكتة جرت لابراهيم بن المهدي اخي هارون الرشيد ومن ولاة دمشق قال : قال ابراهيم بن المهدي كنت بين يدي الرشيد جالساً على طرف حراقة وهو يريد الموصل والمدادون يمدون السفن والشطرنج بيني وبينه والدست متوجه له اذ اطرق هنيهة ثم قال : يابن أمّ ما احسن الاسماء عندك · قلت محمد

رسول الله قال اي شيء قلت هرون اسم مولانا امير المؤمنين قال : فما اسمج الاسماء عندك وقلت ابراهيم فنهرني وقال : و يحك اتقول هذا وهو اسم ابراهيم خليل الرحمن قلت له بشؤم هذا الاسم لقي من النمرود ما لقي وطرح في النار قال فابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم قلت لاجرم انه لم يعمر . قال فابراهيم الامام قلت بشؤم اسمه قتله مروان في جراب النورة واز يدك يا امير المؤمنين ابرهيم بن الوليد خلع وابراهيم بن عبد الله بن حسن قتل وعمه ابراهيم بن حسن سقط عليه السجن فمات وما رأيت احداً والله بهذا الاسم الا قتل او نكب او رأيته مضروباً او مظلوماً او مقذوفاً . ثم ما انقضى كلامي الا وسمعت ملاحاً يصيح مد يا ابراهيم و يلك ثم اعاد و يلك يا ابراهيم مُدّ يا عاض بـ . . امه فقلت له بقي لك شيء بعد هذا والله ما في الدنيا اشأم من اسم ابراهيم فضحك .

ولا بأس بان يقال هنا ان معظم من تولوا دمشق على عهد العباسيين بل في اغلب الادوار كانوا من اعاظم الرجال علماً وسياسة وادارة ومنهم ابرهيم بن المهدي هذا وجعفر ابن يحيى البرمكي وموسى بن يحيى البرمكي وعبدالله بن طاهر وابو دلف العجلي ومالك ابن طوق ومما ينسب لعبد الله بن طاهر من الشعر وهو مما اشتهر :

نحن قوم تليننا الحدق النجـ ـل على اننا نلين الحديدا
طوع ايدي الظباء تقتادنا العين ونقتاد بالطعان الاسودا
نملك الصيد ثم تملكنا البيـ ـض المصونات اعينا وخدودا
نتقي سخطنا الاسود ونخشى سخط الخشف حين يبدي الصدودا
فترانا يوم الكريهة احرا راً وفي السلم للغواني عبيدا

وفي مالك بن طوق احد اجواد العرب يقول بكر بن النطاح :

اقول لمرتاد الندى عند مالك كفى كل هذا الخلق بعض عياله
ولو بذلت امواله جود كفه لقاسم من يرجوه شطر حياته
ولو لم يجد في العمر قسماً لسائل وجاز له الاعطاء من حسناته
لجاد بها من غير كفر بربه وشاركنا في صومه وصلاته

قال الصفدي هذه الابيات اشتهرت بالحسن والمبالغة واحسن ما فيها من غير كفر بربه فانه حشو حسن واحتراز جيد .

ومن ولي دمشق في الدور العباسي احمد بن المدبر الكاتب الحاسب الذي مدحه البحتري فقال :

هل الدهر الا غمرة وانجلاؤها وشيكا والا ضيقة وانفراجها
فلا امل الا عليك طريقه ولا رفقة الا عليك معاجها
فان تلحق النعمان جوداً فانه يزين اللآلي في النظام ازدواجها
وكنت اذا مارست عندك حاجة على نكد الايام هان علاجها

قال الابيوردي كان احمد بن المدبر اذا مدحه شاعر ولم يرض شعره قال لغلامه امض به الى المسجد الجامع فلا تفارقه حتى يصلي مائة ركعة ثم خله فتحاماه الشعراء الا المفرد المجيد فجاءه الجمل الشاعر واستأذنه في النشيد فقال : عرفت الشرط قال : نعم قال : هات فانشده :

اردنا في ابي حسن مديحاً كما بالمدح تنتجع الولاة
فقلنا اكرم الثقلين طرا ومن كفيه دجلة والفرات
وقالوا يقبل المدحات لكن جوائزه عليهن الصلاة
فقلت لهم وما يغني عيالي صلاتي انما الشأن الزكوة
فيأمر لي بكسر الصاد منها فتصبح لي الصلاة هي الصلات

فضحك وقال من اين لك هذا فقال من قول ابي تمام :

هن الحمام فان كسرت عيافة من حائهن فانهن حمام

ومما ذكره في تحيل الشعراء على العطاء ماقاله من ان علقمة بن عبد الرزاق العليمي قصد باب بدر بن عبد الله الارمني المعروف بامير الجيوش والي دمشق(٤٥٥) فرأى عليه اشراف الناس وكبارهم وشعراءهم فلم يحصل لاحد دخول اليه فبينما هم كذلك اذ خرج بدر يريد الصيد فخرج علقمة في اثره واقام الى ان رجع من صيده فلما اقبل علا نشزاً من الارض ثم جعل في عمامته ريشتي نعامة ولما قرب منه اومأ برقعة كانت معه وانشأ فيها يقول :

نحن التجار وهذه اعلاقنا در وجود يمينك المبتاع
قلّب وفتشها بسمعك انما هي جوهر تختاره الاسماع

كسدت علينا بالشآم وكلما قلّ الشقاق تعطل الصناع
فاتاك يحملها اليك تجارها ومطيها الآمال والاطماع
حتى اناخوها ببابك والرجا من دونك السمسار والبياع
فوهبت مالم تعطه في دهره هرم ولا كعب ولا القعقاع
وسبقت هذا الناس في طلب العلي فالناس بعدك كلهم اتباع
يابدر اقسم لو بك اعتصم الورى ولجوا اليك جميعهم ماضاعوا

وكان على يد بدر بازي فدفعه الى الباز يار وانفرد من الجيش وجعل يسترد الابيات وهو ينشدها الى ان استقر في مجلسه ثم التفت الى اصحابه وخاصته وقال من احبني فليخلع على هذا الشاعر قال علقمة فوالله لقد خرجت من عنده ومعي سبعون جملا تحمل الخلع وامر لي بعشرة آلاف درهم فقلت لمن في بابه الحقوني يامتخلفين فالحقوني باجمعهم فما منهم الامن خلعت عليه ووهبت له ٠

ومما اورده من اخبار العطاء وهو مايصح ان يطلق عليه العطاء الاخرق لانه خرج عن حد الاعتدال ماوقع لابي الجيش خمارويه بن احمد بن طولون الامير بن الامير التركي قال انه غناه مغنّ في بعض الليالي ببرج عذرا بصوت وهو :

قد قلت لما هاج قلبي الذكري واعترضت وسط السماء الشعرى
كأنها ياقوتة في مدرى ما اطيب الليل بسرّ من را

فغير المغني وقال ببرج عذرا فامر له بمائة الف دينار قال ابو زنبور ايها الامير تعطي مغنياً في بدل كلمة مائة الف دينار وتضايق المعتمد فقال فكيف اعمل وقدامرت بها ولست ارجع فقلت اجعلها مائة الف درهم فقال اطلقها له معجلة يعني الدراهم وابسط الباقي له في كل سنة شيئاً يعني الذهب ٠

وكان خمارويه يوماً على نهر توره بدمشق يتصيد فانحدر من الجبل اعرابي عليه كساء فاخذ بشكيمة لجامه وهو منفرد وعلى يده باز ففر البازي فصاح به الغلمان فقال دعوه فقال الاعرابي :

ان السنان وحد السيف لونطقا لحدثا عنك بين الناس بالعجب
أفنيت مالك تعطيه وتنفقه ياآفة الفضة البيضاء والذهب

فالتفت ابو الجيش الى الغلام الذي معه خريطة النفقة وكان رسمها خمس مائة دينار ففرغها في كسائه فقال ايها الملك زدني فالتفت الى الغلمان فقال لهم : اطرحوا سيوفكم ومناطقكم فطرحوها عليه فقال ايها الملك اثقلتني فقال : اعطوه بغلاً يحمل ذلك عليه ولما عاد الى منزله اعطى لكل من اعطى الاعرابي سيفاً ومنطقة من ذهب .

ومن غريب ماوقع من قرض الشعر مارواه في سيرة الملك المعظم شمس الدولة توران شاه الذي فتح معظم بلاد اليمن وكان مثلاً في الجود والعطاء ماورواه مهذب الدين محمد بن علي الخيمي قال رأيت في النوم شمس الدولة توران شاه بعد موته فمدحته بابيات وهو في القبر فلف كفنه ورمى به اليّ وقال :

لاتستقلن معروفاً سمحت به ميتاً فاصبحت منه عاري البدن
ولا تظنن جودي شابه بخل من بعد بذلي ملك الشام واليمن
اني خرجت من الدنيا وليس معي من كل ماملكت كفي سوى كفني

وذكر ابياتاً للببغا احد شعراء سيف الدولة بن حمدان لما انفق ستمائة الف دينار (٣٥٥ هـ) على فداء الاسرى وكان قد ورث من اخته خمس مائة الف دينار فصرفها في هذا الوجه :

ما المال الا ما افاد ثناء ما العز الا ما حمى الاعداء
وفديت من اسر العدو معاشرا لولاك ماعرفوا الزمان فداء
كانوا عبيد نداك ثم شريتهم فغدوا عبيدك نعمة وشراء

فاستظرفه ووصله

وكان سيف الدولة من البلغاء كتب الى ابي فراس : كتابي و يدي في الكتاب ورجلي في الركاب وانا اليك اسرع من الريح الهبوب والماء الى الانبوب . قال فيه الصفدي :

فعصره سمي الزمان المذهبا فيه نحاة بلغا وادبا .

وقال في شرحه : والناس يسمون عصره الطراز المذهب لان الفضلاء الذين كانوا عنده والشعراء الذين مدحوه لم يأت بعدهم مثلهم . ابو الطيب ملك الشعراء من مداحه والسلامي والببغا والوأواء والخالديان من خزان كتبه وكشاجم طباخه وابن نباته خطيبه وابن خالويه معلمه وابو علي الفارسي وغير هؤلاء .

ومما قاله في ايام الامير سيف الدين تنكز ، وهو مثال آخر من ارجوزته وربما كان من جيدها :

ثم اتى من كان نعم النائب تنكز جادت قبره السحائب
فنشر العدل بها والحرمة فانتعشت به وكانت رمة
وانصلت ايامه وامتدت وادبرت نحوسها وارتدت
وامن البلاد والعبادا كأنما ايامه اعيادا
وسارت القفول في الاقطار آمنة من سائر الاخطار
بهيبة تراع منها الاسد وعفة ما مثلها يحدد
وعمر الجامع والمدارسا وكل وقف كان قبل دارسا
وجدد القني حتى نظفت ورست الاقذاء بعد ما طفت
ووسع الطريق في الاسواق فاصبحت نهاية الاشواق
وطار عنه الصيت ما بين التتر حتى استلان عزمهم ثم فتر
وقطع الفرات ثم اصطادا هناك اياماً وكم اعادا
لنجفل الناس الى تبريز ان هم من دمشق بالتبريز
اما الرشا فلم يرش جناحها وغير الرسوم ثم اجتاحها
ايامه كأنها مواسم كما ثغور عدله بواسم
فما وليها بعد نور الدين كمثله في الترك عن يقين
ثم تنكر الردى لتنكز وجاءنا فيه بامر معجز
فراح منها وهو كالمجنون كالشعرة استلت من العجين

وفي الكتاب الذي انتهى سنة ستين وسبع مائة فوائد لغوية وتاريخية كثيرة منها ان الملك المعظم جعل لمن يعرف المفصل للزمخشري مائة دينار ولمن يحفظ الجامع الكبير مائتي دينار ولمن يحفظ الايضاح ثلاثين ديناراً سوي الخلع . ومنها انه وقع حريق في كنيسة مريم بدمشق ايام احمد بن طولون فامر ان تفرق على اهل الحريق سبعون الف دينار ففضل عنهم اربعة عشر الف دينار فامر ان تفرق عليهم على قدر سهامهم ثم امر ففرق على اهل دمشق وغوطتها مال عظيم فاقل من اصابه من ذلك دينار . وهذا من عجيب

التفنن في العطاء والافضال على العرفان والعمران .

ومن فوائده التاريخية ما قاله في تموصلت احد ولاة دمشق قال : تموصلت و يقال طزملت و يقال طمران بن بكار ابو محمد القائد الاسود (٣٩٢ ﻫ) قال وقد كرر الحافظ بن عساكر رحمه الله ذكره في حرف الطاء سماه طزملت وغير العبارة وهما واحد ومن فوائده اللغوية استعماله لفظة شكارة . ويتحوج الخضر بنفسه اي يتسوقها (يقال خرج يتحوج يتطلب ما يحتاجه من معيشته) وقوله كان لحملها اي القصعة اربعة عتالين بالاقواب وهو يحيل في بعض التراجم على تاريخه الكبير ولعله تاريخ اعيان العصر واعوان النصر .

محمد كرد علي

التفاني في الحرص على اللغة

خطاب الدكتور اسعد بك الحكيم حين الاحتفال بقبوله عضواً
في مجمعنا العلمي يوم الجمعة في ٢٢ حزيران سنة ١٩٢٣

اللغة هي اثمن كنز تركه لنا الآباء عاشت مع السلف فكانت اطول منهم عمرا وعاركتها الليالي فكانت اصلب منها عودا استنفدها الدهر فلم تنفد وشوهتها الحوادث فلم تقبح فهي الروح للعرب تتقمص كلما بليت اجسادهم وتنتشر كلما طويت اخبارهم صينت بها حياتهم وحفظت بها آثارهم فهي الوطن وهي القومية وهي الحياة وهي العصبية . وكأني بالسلف قد ادركوا قبل غيرهم منزلة اللغة من حياة الامم وهي منها على قاب قوسين او ادنى فاشفقوا على عظمتهم ان تطمس عليها يد الحدثان فاجهدوا انفسهم اي اجهاد بحفظ اللغة وضبطها وتصنيفها وتدوينها وما هي الا صيحة بنيّة ادهشها منظر الفلك فهتفت متعجبة « ما اجملُ السماء » حتى ثارت عصبية الدؤلي وهاجت اريحيته فاعظم الامر واكبر الخطب وراح الى ابن ابي طالب يشكو اليه الداء ويستوصفه الدواء . من ذلك الحين رسم العرب الحروف ووضعوا الحركات وصنفوا الصرف والفوا النحو وابتدعوا البيان . من ذلك العهد شرع ائمة اللغة واللغة في ابان نضارتها بتحديرها وصيانتها

التفنن في العطاء والافضال على العرفان والعمران .

ومن فوائده التاريخية ما قاله في تموصلت احد ولاة دمشق قال : تموصلت و يقال طزملت و يقال طمران بن بكار ابو محمد القائد الاسود (٣٩٢ هـ) قال وقد كرر الحافظ بن عساكر رحمه الله ذكره في حرف الطاء سماه طزملت وغير العبارة وهما واحد ومن فوائده اللغوية استعماله لفظة شكارة . ويتحوج الخضر بنفسه اي يتسوقها (يقال خرج يتحوج يتطلب ما يحتاجه من معيشته) وقوله كان لحملها اي القصعة اربعة عتالين بالاقواب وهو يحيل في بعض التراجم على تاريخه الكبير ولعله تاريخ اعيان العصر واعوان النصر .

محمد كرد علي

التفاني في الحرص على اللغة

خطاب الدكتور اسعد بك الحكيم حين الاحتفال بقبوله عضواً
في مجمعنا العلمي يوم الجمعة في ٢٢ حزيران سنة ١٩٢٣

اللغة هي اثمن كنز تركه لنا الاباء عاشت مع السلف فكانت اطول منهم عمرا وعاركتها الليالي فكانت اصلب منها عودا استنفدها الدهر فلم تنفد وشوهتها الحوادث فلم تقبح فهي الروح للعرب تتقمص كلما بليت اجسادهم وتنتشر كلما طويت اخبارهم صينت بها حياتهم وحفظت بها آثارهم فهي الوطن وهي القومية وهي الحياة وهي العصبية . وكأني بالسلف قد ادركوا قبل غيرهم منزلة اللغة من حياة الامم وهي منها على قاب قوسين او ادنى فاشفقوا على عظمتهم ان تطمس عليها يد الحدثان فاجهدوا انفسهم اي اجهاد بحفظ اللغة وضبطها وتصنيفها وتدوينها وما هي الا صيحة بنيّة ادهشها منظر الفلك فهتفت متعجبة « ما اجملُ السماء » حتى ثارت عصبية الدؤلي وهاجت اريحيته فاعظم الامر واكبر الخطب وراح الى ابن ابي طالب يشكو اليه الداء ويستوصفه الدواء . من ذلك الحين رسم العرب الحروف ووضعوا الحركات وصنفوا الصرف والفوا النحو وابتدعوا البيان . من ذلك العهد شرع ائمة اللغة واللغة في ابان نضارتها بتحديرها وصيانتها

بتدوينها وتصنيفها وما جاءت النهضة العباسية وازهرت اغصانها حتى نضجت اللغة واينعت اثمارها فنحتت الاسماء وعربت الالفاظ ووضعت الاصطلاحات وصنفت الدواوين اي القواميس والمعاجم مما جعل اللغة بحراً فيه لكل ظامئ منهل ولكل غائص جوهر فنقل المترجمون من اليونانية والكلدانية والقبطية والسنسكريتية والفارسية واللاتينية جميع العلوم الدخيلة على اختلاف موضوعاتها ولم تتفاوت تعابيرهم ولم تتباين اصطلاحاتهم ولما تختلف مسمياتهم مما ينطق بغزارة المادة ووحدة الجوهر ·

واذا انعمنا النظر فيما يتطلبه انجاز عمل واحد من تلك الآثار العظيمة التي تركوها من الجد والعناء والسعي والثبات والتفتيش والتنقيب والرحل والاسفار وسعة العلم وكثرة الاختبار والزمن الطويل والصبر الجميل والمال الجزيل تتجسم لاعيننا النفوس العظمى التي كانت تحرك تلك الاجسام النحيلة والهمة العليا التي كانت تتأجج في نفوس اولئك الرجال العظام مما لو اتيح لهذا الجيل معشار معشاره لجاري اعظم الامم المتمدنة في مضمار الرقي والحضارة كيف لا والامة العربية باجمعها في هذا العصر عصر البخار والكهرباء عصر القراطيس والمحابر عصر النور والمطابع تحجم عجزا وتتقاعس هونا عن الاتيان بما اتاه الفرد الواحد في تلك العصور المقفرة لابل عن طبع ما الفه الفرد وسودته الانامل مما تدمي له القلوب وتحمر منه الوجوه خجلاً ·

ولم يكتف السلف بضبط اللغة من حيث الالفاظ والقواعد بل اجهدوا النفس ايضاً في جمع تراجم الرجال النابغين فيها وتدوين اقوالهم واشعارهم وكتاباتهم علماً منهم بان اللغة كالامة لاتحيي الا بتاريخها · وذلك ليقتدى بهم وينسج على منوالهم واذا كان في ابناء الضاد في هذا الجيل من يحسن النطق والكتابة في اللغة العربية فما ذلك الا بفضل تلك القواعد ودواوين اللغة وكتب الادباء وتاريخ الادب مما يثبت لنا ان اصلاح المنطق لايتم الا في امرين حفظ اللغة الصحيحة وضبط قواعدها ودرس الآداب وتاريخها وهذا ما اردت طرق بابه لااملاً بالولوج بل طمعاً بفتح الباب فاقول :

ليس كاللغة مرآة تتجلى فيها الامة في جميع حالاتها الروحية والجسدية فهي التي تعبر عن افكارها وشعورها واذواقها واخلاقها وعلومها ومداركها · وما تاريخ اللغة الا تاريخ الامة التي تنطق بها نسبة اللازم للملزوم مما يجعل الواقف على احوال امة

من الامم ملماً بحال اللغة التي تتكلم بها وهو يجهلها والعكس بالعكس . فالواقف مثلاً على احوال العرب في الجاهلية وما كانوا عليه من بداوة وفروسية وكرم وحرية وذكاء باهر على مابهم من امية يحكم حكماً صائباً ان لغتهم كانت لغة بكرا لاتشوبها عجمة ولا يخامرها دخيل فصيحة صريحة بليغة سهلة مرسلة يندر فيها الاصطلاح وتتجلى فيها الطبيعة . والمطلع على لغة العرب وآدابها في القرن الثاني للهجرة وعلى مافيها من اسماء الممالك والقاب السلطنة والالفاظ العلمية والاصطلاحات الفنية . يجزم بان الامة التي نطقت بها كانت امة ذات حول وطول ومدنية وحضارة وعلوم وفنون وثروة وسلطان كما ان من يسمع رطانتنا العامية وما فيها من غريب ودخيل وركاكة وعجمة ولحن وخطأ وتكلف وتصنع لايشك في اننا امة فقدت جامعتها وانحلت عصبيتها ضعيفة خاملة جاهلة الى غير ذلك من صفات الامم المغلوبة على امرها الخاضعة لغير سلطانها .

ومن هذه النسبة المبسوطة مابين اللغة والامة يتضح لنا ان في اصلاح الامة اصلاح اللغة كما ان في صلاح اللغة صلاح حال الامة التي تتكلم بها لانها روح عصبيتها وقوام قوميتها وهل يعيش جسم بلا روح وتقوم روح بلا جسد . وهذا ماحدا بجميع الامم المتمدنة الى تأسيس المجامع العلمية وبذل الاموال الطائلة والجهود العظيمة في سبيل اصلاح لغاتهم وضبطها وتعليمها ونشرها بكل الوسائل المادية والادبية . فكانت الغاية من تأسيس الجمعية اللغوية الفرنسية تهذيب اللغة الافرنسية وضبطها ووضع الموسوعات فيها وكذلك كان القصد من مجمع كورسيكا في ايطاليا والجمعية الملكية في بريطانيا وغيرها في سائر الممالك . وما هذا المجمع العلمي العربي الموقر الا هدف تلك الغاية السامية التي ترمي الى اصلاح المنطق وانقاذ اللغة العربية الحسناء مما في جسمها من جراثيم اللحن وطفيليات العجمة والعامية واعادتها لغة فصحى كاملة شاملة مستقلة ناجزة .

ولا انكر كما انه لاينكر احد مايتطلبه هذا الاصلاح من جد وعناء وجهاد ونضال وسعي وثبات وحزم وجلد ومال وزمن ولكن ان هي الا نقطة الحياة تبتر من دونها الاعضاء وتقطع لاجلها الاوصال .

على اننا اذا نظرنا قليلاً في الاضرار العظمى التي يلحقها فساد المنطق في حياتنا البيتية والمدرسية والاجتماعية والاقتصادية اكبرنا الخطب واسترخصنا كل ثمين نبذله

في سبيل درئه . وما تفوق الغربي على الشرقي الا احد تلك الاضرار ومن اجلها خطراً :

يولد الغربي في الممالك الراقية فتطرق مسامعه مع الهواء الفاظ فصحى ولهجة صحيحة . تألف سماعها اذناه ويتهيأ للنطق بها لسانه . ثم يدرج و يهتم شأن جميع الاطفال بمعرفة كل مايقع عليه بصره من الاشياء وما يحدث حوله من حوادث الطبيعة . فيسمي له ابواه كل شيء باسمه الحقيقي الفصيح و يشرحان له كل حادث طبقاً لقوانينه الحكمية بصورة تتناسب مع فهمه ومداركه فيحفظ ذلك كله و يشب على معرفته ثم يترعرع و يدخل المدرسة فيشاهد فيها معلماً يتكلم باللغة التي الف سماعها والتكلم بها في حضن ابويه و يقرأ في كتاب لاتختلف كلماته عن الالفاظ التي ينطق بها فينصرف ذهنه للمعاني بدل الاشتغال بالالفاظ . ثم يدرس العلوم والفنون في كتب لغتها واحدة واصطلاحاتها واحدة واذا تعذر عليه فهم كلمة علمية يجد في جانبه كتاباً يفسرها له بمعانيها الحقيقية والاصطلاحية . حتى اذا اتم هذا الطالب علمه وصار استاذاً يؤلف الكتب و يلقي الدروس لايحتاج في وضعها لاتعاب فكر او اجهاد قريحة من حيث الالفاظ فيشتغل بالجوهر دون العرض لانه مهيأ متوفر لديه .

اما الطفل العربي فانه من حين دخوله هذا العالم تنهال على مسامعه اسماء مشوهة وكلمات محرفة وتعابير فاسدة والفاظ دخيلة تنطبع في صفائح دماغه اللين رسومها فيألفها سمعه و يرددها لسانه . ثم ينمو هذا الطفل والطفل فضولي بالطبع فيستوضح عن كل ما تتأثر به حواسه الخمس فيجاب الى ذلك باسماء عامية او دخيلة او محرفة واحيانا عند جهل اسم الشيء باسماء مركبة او جمل مبهمة . وتؤول له الحوادث الطبيعية بخرافات متنوعة ماانزل الله بها من سلطان تتكيف بحسبها مداركه وملكاته العقلية . ثم اذا قيض الله له ان ينشأ و يدخل المدرسة والمدرسة سجنه المنفور يلقى فيها استاذاً يتكلم بغير اللغة التي يقرأها في كتابه و يقرأ في كتاب عباراته غير التي الف سماعها والتفوه بها في بيت أمه وابيه ثم يصادف علوماً لم تتهيأ قواه العقلية لفهمها . هنا يجب ان يقف حكماء النفس وعلماء التربية والتعليم ليشاهدوا اعظم جهاد يجاهده العقل البشري في بدء نموه واسمى ما تدركه قوى النفس في مضمار الحفظ والفهم مما لو صرف في تعلم اي علم وفن لبات

النبوغ عندنا شائعاً كما هو الحال في الممالك الراقية المتمدنة .

ينتقد علماء التربية والتعليم طرق تعليم الاطفال الحروف الهجائية اللاتينية على ما فيها من السهولة والبساطة فيقولون ان الطفل الذي يقرأ حرف L إل . الافرنسي مثلاً بمخارجه المألوفه اي إلْ . يقضي عليه سياق اللفظ ان يقرأه اذا جاء بعده A آ . بمخرجه الطبيعي اي الا (ela) . واذا نظر الى مايبذله العقل من القوي للانتقال من الا . الى . لا . لوجدت تعادل ما يبذله لحفظ الحرف نفسه . وقد استنتجوا من ذلك ان من الممكن اقتصاد نصف الزمن الذي يصرفه الطالب في تعلم القراءة فيما لو اصلح طرز تعليم حروف الهجاء .

فليت شعري ماذا يقول اولئك الحكماء فيما يصرفه عقل الطفل العربي من القوي للانتقال من لفظ الف فتحة الى آ وجيم كسره الى جي مما لاتناسب ولا تشابه بينهما وفيما يعانيه من الصعوبة للانتقال من اللغة العامية الى اللغة الفصحى كمن (شو بدك تعمل) مثلا الى ماتريد ان تعمل على ما بينهما من التباين الشاسع في التركيب واللفظ وفيما يصرفه من الجهد لاقتباس اللغة الصحيحة من وراء التتبع والاستقراء مما لو صرف في غير هذا الصدد لكفى لتعلم لغات متعددة . في ذلكم لعمر الحق بلاء على اللغة والامة كما تعلمون عظيم .

ومن اعظم اسباب فساد المنطق تهافت امثال هذا الطالب على قراءة الروايات والقصص والصحف الخالية من الحركات على مافيها من فاسد وسقيم فيلحن في قراءتها ولما لايوجد لديه مرشد يرشده الى الصواب تنطبع في ذاكرته صور الكلمات مكسرة فيألف قراءتها مع الخطأ ويتعذر عليه اصلاح ما افسده الدهر في المستقبل . ولذا نشاهد ائمة اللغة المشهور بن بيننا يلتجئون الى كتب اللغة في كل حين على الرغم من سعة معارفهم اللغوية لتحقيق لفظ بعض الكلمات حتى المألوفة الاستعمال منها فيما اذا كانت من الباب الاول او الثاني الى غير ذلك من سيئات التعليم الابتدائي وقراءة الكتب المهملة .

هذا واذا قدر لهذا الطالب ان يحسن فناً من الفنون الحديثة و يكون استاذاً ومؤلفاً فهنالك بلاء آخر على اللغة والامة معاً اذ لايجد هذا الاستاذ في حافظته الفاظاً يعبر بها

عن علمه غير الالفاظ الدخيلة او العامية او الاجنبية التي نطق بها استاذه فيقف حائراً يلتفت يمينًا وشمالاً فلا يجد كتاباً فصيحًا في ذلك الفن يستند اليه ولا اماماً في اللغة عالمًا يرجع اليه ولا ديواناً علمياً صحيحًا يستنجد به ولما لايجد حيلة في الامر ولا مناصاً من العمل يجنح الى الاجتهاد بالوضع وفي هذا الاجتهاد تعدد المذاهب وتنوع الالفاظ مما يمجه العلم الصحيح و يأباه لان لغة العلم تتطلب الوحدة والصراحة فهي لاتقبل المترادفات كقرنة وسوك بدل زاوية . وعامل بدل فاعل الى غير ذلك لما ينجم عنها من الخطأ والابهام الذي من آفاته ضياع الوقت والاشتغال بقيل وقال .

هذا هو الداء العضال الذي يعبث في جسم هذه الامة و يفت في ساعدها ويضعف من قواها وتلك هي الاسباب التي تشوه محاسن اللغة العربية وتقلل طلابها حتى بات بنوها ينظرون اليها نظر الواجف المتهيب وأنىّ يقوى طفل لايرضع ثدي امه و يسعد شعب لا يحسن و يعشق لغته .

ومما تقدم يتضح لنا ان اصلاح المنطق ونشر اللغة الفصحى هو من اجل المهام الحيوية التي تتوقف عليها سعادة الامة العربية وان هذا الاصلاح لايتم الا باصلاح طرق التربية والتعليم وتهيئة المواد الاساسية للمتعلمين والمطالعين ومن جهة أخرى بتهيئة موارد لغوية صحيحة للصادرين بقصد النقل والتأليف كي لايظهر كتاب في اي موضوع فيه مايفسد لغة المطالع والمتعلم .

يضيق بي المقام اذا حاولت البحث في اصلاح طرق التربية والتعليم وذكر كل ماسطرته الاقلام وسودته المحابر في هذا الموضوع الحيوي فقد اجهد كثير من المجددين الافاضل قرائحهم في هذا الصدد كما ان الاتراك افرغوا قصارى جهودهم في هذا العمل الخطير ومن موجبات الاسف ان كل مابذر في هذه التربة كان عقيماً وكلّ ما نبت فيها ظل ماحلا . وذلك لتوخي الطفرة في العمل والطفرة محال يعقبها الفشل و يتبعها الخذلان . وما ترجيح الارناؤوط الحروف اللاتينية على العربية والاتراك الحروف المنفصلة على المتصلة الا بعض تلك الاعمال ذات الشأن التي ليس لي ان اخوض في ذكرها لضعف علاقتها في اصلاح المنطق الذي هو هدف هذا الموقف . ولذا اضرب صفحًا عنها موجها النظر الى التدابير الاساسية التي ترمي الى نشر اللغة الفصحى بين

افراد الامة واعلاء شأنها الى المستوى الذي تتطلبه كرامتها بين سائر اللغات الحية الراقية وخير تلك التدابير ماارتكز على السنن الطبيعية التي لاغالب ولا تبديل لهـا . وهل يشفى داء لايحسم سببه ويجف ماء لم تجمد عينه .

كان العرب على ماهم عليه من الطلاقة والفصاحة يعهدون بتربية ابنائهم الى القبائل المشهورة بينهم بمتانة اللغة وفصاحة اللسان محافظة على اللغة واشفاقاً عليهم من عار اللحن والعجمة . وكذلك نشاهد الغربيين يتوخون لمدارسهم افصح الاساتذة لساناً ويبعثون باولادهم الى المدن المعروفة بصحة اللغة وسلامة المنطق ليألفوا سماع لغة اهلها فتعذب الفاظهم وتفصح السنتهم وذلك لما للسمع من العلاقة المتينة بالنطق فالاصم ابكم بالطبع وما الكلام الا صدى ماينعكس عن الاذان من الاصوات يتكيف بحسبها يعذب اذا عذبت ويخشن اذا خشنت فالسمع هو الحاكم المطلق على ملكة اللسان ولذا يتعذر على من يدرس لغة من اللغات في الكتب بصورة نظرية محضة ان يحسن النطق بها كما يجيد فهمها والكتابة بها اذ الرابطة بين البصر واللسان منقطعة فالاعمى لا يكون ابكماً كالاصم . وعليه فتهذيب السمع هو اجل مايعنى به بادئ بدء لنشر اللغة الفصحى بين افراد الامة . ولما كانت التربية البيتية فاسدة عندنا ليس من شانها ان تقوم باداء هذا الواجب في الحال الحاضر . و يتوقف صلاحها على ما يبذل من القوى في اصلاح الجيل القادم وكان المعلم خير من يقوم اعوجاج الامم ويصلح من فاسدهم وجب علينا ان نتجه بكليتنا اليه للوصول لتلك الغاية فهو المهذب الوحيد الذي نشر اللغة الافرنسية الفصحى بين جميع ابنائها وقد كانوا يلغطون بلغات عامية متعددة . وهو الذي اوجد الوحدة الالمانية وقد كان الجرمان قبلها شيعاً . وهو الذي سيجدد للعرب عهدهم القديم وينشر بينهم لغتهم الفصحى بعد ان فسدت قلوبهم وتبلبلت السنتهم . فهو سفينة النجاة توصل الى ساحل السعادة اذا صلح وتهوي بامته الى درك الهلاك اذا فسد . وعليه فانتقاء الاساتذة ممن يجيدون التكلم باللغة العربية الفصحى لجميع المدارس على تفاوت درجاتها هو الحجر الاول الذي يجب ان يوضع في بناء هذا المشروع الخطير على ان يحظر عليهم التكلم باللغة العامية لتألف آذان الناس سماع اللغة الصحيحة وتنطبع

رسومها في اذهانهم فلا تمجها آذانهم وتسترسل بالنطق بها السنتهم ومن الف شيئاً احبه ومن احب شيئاً عمل به ٠

على ان التكلم باللغة الصحيحة يستلزم معرفة الاسماء الحقيقية لجميع الاشياء والافعال التي تتأثر بها الحواس الخمس مما يفتقر اليه العلماء ناهيك من العامة فقد مر بنا فيما تقدم ان كثيراً من اسماء الاشياء المطروقة الاستعمال عامي او دخيل او اعجمي محض ولا يعرف مايقابله في العربية الفصيحة التي لم تترك شاردة ولا فاردة من مسميات الطبيعة الا احصتها عدا مافي باب الاشتقاق والتركيب فيها من المجال الواسع للوضع والتصنيف ٠ وذلك لما ولدته قوة استمرار الحكم الاجنبي في نفوس العرب من ضعف العصبية الذي من علائمه انحلال الضعيف في الجسم القوي ولولا كتاب جعله الله حرزاً وافياً وحجاباً مانعاً على صدر هذه الامة لاستحالت الى غيرها من امد بعيد مما ينذر بخطر الموقف وحرج المقام ويدعو الى الاهتمام الشديد بوضع مقابل لكل كلمة عامية او دخيلة تدل على شيء او معنى وان يعمل على نشرها وحمل الناس على استعمالها بكل الوسائل الفعالة وان لا يوقف عند نشرها في المجلات والجرائد التي لا تعم فوائدها ولا تثمر بل يعهد بتدريسها الى المدارس كما تدرس مفردات اللغات الاجنبية او بالحري دروس الاشياء بواسطة الصور والرسوم الكبيرة التي تعلق على الجدران ٠ فتهيأ لها الواح يحيط كل منها بصور فصيلة من فصائل الاشياء مع اسمائها الصحيحة كأثاث البيت وادوات الطبخ والطعام واللعب والنوم واللباس والابنيــة والزراعة والصناعة الى غير ذلك وهذا لان الحافظة تدرك بالنظر ما لا تدركه بالسمع فتنطبع فيها اسماء الاشياء التي تشاهدها العين بسرعة ووضوح لايضارعها ماتسمعه عنها من الوصف والشرح مما جعل للرسوم والصور المتحركة في التعليم في اوربة مكانة جعلت بجانبها تعليم الاشياء النظري نسياً منسياً ٠

وليت شعري مايبقى من اللغة العامية بعد ان يقف ابناء الجيل القادم على اسماء الافعال والاشياء الصحيحة و يألفوا التعبير بها ؟ هل يبقى غير التصريف والاعراب وحسن السبك مما تكفل المدارس تعليمه وتقوم بنشره خير قيام ٠

على ان هنالك خطراً قلما اهتم له دعاة الاصلاح وهو ماينجم عن قراءة الكتب

العارية من الحركات من افساد المنطق بحفظ الكلام خطأ . ولا يخفى ماينشأ عن ذلك من الاضرار الجمة في اللغة لان من يحفظ رجع يرَجع وعَمَل يعمِل وغيرها في صغره لايسهل عليه قراءتها رَجع يرجِع وعمِل يعمَل . في كبره وهذا ما يوقع جلّ الادباء والخطباء في اللحن في القراءة والخطابة ويحملهم على اضاعة الزمن الطويل في مراجعة دواوين اللغة لتحقيق كثير من الالفاظ .

واذا قسنا ماينشأ عن عدم استعمال الحركات من الاضرار في اللغة والمنطق بما يؤتيه من المنافع المادية استصغرنا هذه المنافع في جانب تلك الاضرار واسترخصنا مايلحق المطبوعات من غلاء الثمن من جراء استعمال الحركات في جانب الفوائد العظمى التي تنجم عنها . وعليه تقضي مصلحة اللغة على ولاة المعارف ودعاة الاصلاح ومديري المدارس والادباء والكتاب بتهيئة كتب مدرسية لجميع الصفوف في كل الموضوعات العلمية وروايات فكاهية وقصص ومجلات الى غير ذلك مما يروق للطلبة مطالعته تكون محركة الاحرف سليمة العبارة وان يحضوا الطلبة على اقتنائها ومطالعتها دون سواها و يعلنوا حرباً ضروساً تكون جهاداً مقدساً على كل كتاب عار من الحركات ولعمري لايمضي على ذلك قليل حتى يصبح جلُّ الكتب العربية محرك الاحرف لما يقع في سوق الكتب المهملة من الكساد .

تلك هي الخُطُوات الاولى التي يجب على الامة العربية ان تخطوها في سبيل اصلاح المنطق ونشر اللغة الفصحى محافظة على كيانها وتوثيقاً لعرى قوميتها التي اخذت الدسائس تعمل على حلها وفصلها . اما من حيث لغة العلم والفن فهنالك واجب آخر يتحتم عليها القيام به لتضارع غيرها في مضمار الرقي والحضارة التي لاحياة لامة بدونهما وهل تعد اللغة حية اذا لم تكن لغة العلم والادب معاً . والامة امة اذاً لم تبن تاريخها على اسس العلم والفن .

لم تبلغ الامة العربية مابلغته في معارج المجد والعظمة الا بما تركته من آثار العمران والمدنية الرفيعة ولم تنل اللغة العربية تلك المنزلة السامية في عالم الكمال الا بعد ان نقلت اليها جميع العلوم والفنون من سائر اللغات ثم لما نضب منها ذلك المنهل العذب واقفرت تربتها من ازاهر العلوم والفنون لما طرأ على بنيها من عوامل الجهل والخمول

تعطلت محاسنها وعدل عنها طلابها الى غيرها من اللغات الحية الراقية ولولا كنوز اودعها السلف في بطنها لما ترنم بمدحها مستشرق ولما شدت الى تعلمها رحال · غير ان الله تعالى ابى الا ان يعيدها سيرتها الاولى فنفخ في العرب روحاً انتعشت بها اجسامهم فشعروا بالحياة واخذوا يدبون اليها بكل قواهم ناهجين سبيل سلفهم الصالح علماً منهم بان السيف الذي لا يشحذه العلم لا يقطع وانه يتعذر عليهم ان يحاكوا غيرهم من الامم في المحافظة على الحقوق والتمتع بالحرية قبل ان يعدوا الى ذلك ما اعدته اليه من القوى فيعمدوا الى اقتباس العلوم والفنون الحديثة ونقلها الى لغتهم بصورة قويمة صحيحة وما هذا المجمع العلمي وذاك المعهد الطبي وذلك المعهد الحقوقي وغيرها من دور العلم الا بعض هاتيك العدد · غير ان عدم وجود حنين في اللغة يقوم من اعوجاجها ورشيد ومأمون يرأس حركتها ويوحد كلمتها اوقع الفوضى في التأليف والنقل فمن المؤلفين والمترجمين من استعمل الالفاظ والاصطلاحات العلمية الاجنبية على ماهي عليه من الغرابة والعجمة ومنهم من قابلها بالفاظ دخيلة او عامية ومنهم من جنح الى ارضاع منها الفاسد ومنها الصحيح مما اوقع الابهام والتفرقة في لغة العلم التي تتطلب الوحدة والصراحة التامة التي ليس لها ان تنالها الا اذا صحت المادة وتوحد المأخذ · فيجب على ائمة العلم والحالة هذه وعلى ولاة اللغة ان يبادروا الى سد هذا النقص بتهيئة موارد صحيحة للمؤلفين والمترجمين قبل ان يتسع الخرق وتعم الفوضى فيضعوا مقابلاً للاصطلاحات والاسماء العلمية الاجنبية وخير سبيل الى ذلك ترجمة احد الدواوين اي المعاجم العلمية من اللغة الاجنبية الاكثر انتشاراً في هذه البلاد فيكون هذا الديوان منهلاً لكل مترجم ومرجعاً لكل مطالع ومؤلف ·

ولا يسمح لي الموقف ان اخوض بذكر ما يتطلبه هذا العمل الخطير من التضلع في كل من اللغة العربية والاجنبية والعلوم والفنون الحديثة وسبر غور الكتب العلمية العربية القديمة والحديثة والوقوف على تعابيرها واصطلاحاتها والتمحيص والتنقيب والتثبت والتروي والاستشارة وعدم الاستقلال بالرأي اذ خير للامة ان تتفاهم بكلمة اجنبية واحدة من ان يلتبس عليها الامر بالفاظ متعددة فصيحة متحولة منها ما يدل على ماوضع له ومنها مالا يدل · واذا نظرنا الى المجمع اللغوي الافرنسي الذي قضى خمسين

عاماً في جمع اللغة الافرنسية وضبطها تتجلى لنا جلالة هذا المشروع الذي فيه خير خدمة للامة واللغة العربية لاينازعها لعمر الحق بالفضل منازع ولا يذكرها بغير الشكر والثناء ذاكر ٠

تلك هي الاسس المتينة التي تقضي القومية والوطنية الحقة على ابناء هذا الجيل ان يضعوها في بناء هيكل اللغة العربية الشامخ الذي يقوم بتشييده خلفهم ابناء الجيل القادم وهو عمل لعمر الحق عظيم تستنفر اليه العربية جميع ابنائها لاتنفضل بين احد منهم لكل نصيب مما فرض وكل بما تكسب يده رهين ٠

واذا كانت مديريات المعارف الجليلة هي المطالب الحقيقي بتطبيق هذا الاصلاح فالمجمع العلمي العربي الموقر هو المسؤول المعنوي عن تهيئة اسبابه واخراجه من حيز القول الى حيز العمل ٠ فهو الممثل الوحيد للغة العربية الذي نيط به امر اصلاحها ورقيها ٠ فليت شعري هل يتاح لها يوماً ان تنال على يده مانالته جاراتها الافرنسية والانكليزية والالمانية من مجامعها من الدواوين التي جمعت اشتاتها ودوائر المعارف التي ضمت علومها وفنونها وتواريخ الادب التي خلدت محاسنها الى غير ذلك من الاعمال الاساسية ذات الشأن والكيان المادي التي تخلد من ذكرى القائمين بها لما تدر به على اللغة والامة من المنافع والفوائد الجلى ولعمري انه عمل لايمتنع على اساتذة جهابذة وطدوا النفس على خدمة اللغة بكل اخلاص وجد ابناء سلف اتى الفرد الواحد منهم بما هو اجل من هذا واعظم وفقنا الله لما فيه خير هذه الامة وصلاح تلك اللغة فهو حسبنا ونعم النصير ٠

الطبيب اسعد الحكيم

دقائق المعربات

جار الماء — وقع لي في تحقيق هذه اللفظة ما لم يدر في خلدي اني اعثر عليه في صقع لم انظر فيه تعلم شيء . اني كنت ذاهبًا من الموصل الى حلب فنزلت (شدادة) وهي على نهر الخابور ، فأردت ان اقضي الوقت بما يفيدني علماً ، فسألت بعض الاعراب الذين كانوا ثم عن اسماء بعض الحشائش والحشرات والطيور والاسماك التي هناك فوقع بصري على نوع من الخنفسة رأيتها في غدير وكان لونها اسود ضارباً الى الخضرة ، فقلت للاعرابي ما اسم هذه الخنفسة ؟ قال : هذه (جار الماء) قلت : وهل لتسميتها سبب ؟ — قال : لانها تجاور الماء ، فاستصوبت كلامه .

ثم رأيت في ساقية تجري الى زرع وكانت الساقية قعيرة وفيها نبت حسن ، فقلت له : وما اسم هذا النبت ؟ قال : هذا (جار الماء) فقلت له ، اني كلما اسألك عن شيء تقول لي : (جار الماء) فلو سألتك عن كل ما يطوف بك من الكائنات لقلت لي : (جار الماء) أفليس عندكم غير هذه الكلمة لتدلوا بها على مطلوبكم ؟ قال الاعرابي : وما الحيلة وانت سألتني عن شيئين مختلفي الخلق مؤتلفي اللفظ ، ولو سألتني عن غيرهما لاجبتك بما يفيدك غير هذه الفائدة . وللحال اخذت اطرح عليه من الاسئلة ما اعجزه واعجزني ورأيت ان الكلمتين الاوليين من غريب ما اتفق لي طلب معرفته اذ وقعت على اسم واحد لمسميين مختلفين .

وقد تذكرت ان في لغتنا العربية من مثل هذه الاسماء شيئًا كثاراً ، ثم اخذت افكر في ما عسى ان يكون اسم (جار الماء) في معنييه المختلفين عند الفرنج ولم اعثر بضالتي الا بعد ان عدت الى بغداد وبحثت عنهما نمّاً .

فوجدت كليهما يسمى باسم واحد عند الاغراب وهو (Hydrocharis) والكلمة يونانية منحوتة من (Hygdôr) بمعنى ماء او (Charis) اي صديق او عزيز ثم فكرت في التسمية العربية فبان لي ان العرب عربوها (هدروخار) ولما عرفوا ان (هدرو) هو الماء قالوا (خار الماء) ثم توهموا ان الكلمة عربية فقالوا (جار الماء) وهو من اغرب المعربات لانه يوافق اليونانية معنى و يكاد يوافقه خطًا .

على ان العرب سموا في السابق (جار النهر) للمسمى (Potamgéton) وسماه الفرنسيون (Epi d' eau) واما جار الماء للنبت فهو جنس من الانبتة عرفت فصيلته باسمه اي (جارات الماء hydrochrardidies) وهي انبتة تنمو في الماء ويحمي ازهارها طلع او كافور يدفع عنه غوائل الجو ، وباقي التفصيل يروى في كتب القوم فنجتزئ بالاشارة الى اسمها الفرنسي ·

واما (جار الماء) للحشرة الغمدية الاجنحة فهي تألف المياه الراكدة وانواعها مشهورة في جميع الاصقاع من العالمين الحديث والقديم وتفاصيل اخلاقها مدونة في كتب القوم ·

البوكة · وزان البومة هو على ماجاء في تاج العروس : الظريف المحتال ذو الهيئة اهـ · وهو المسمى عند الفرنسيين (Chevalier d' industrie) او (escroc) وبالانكليزية (sharper , swindler) على ان اللفظة الفرنسية الاولى تضم المعنى العربي ضم الكم للزهرة والذي عندنا ان الكلمة معربة من اللاتينية او الرومية (buca) (بوكة) ومعناها المحامي الذي يملأ فمه ريحًا ليخرج منه الفاظًا ضخمة لا فائدة فيها ، او بعبارة أُخرى : هو المتبجّح ، المتنطع ، المتشدّق ، المتمطق ، ولم نجد البوكة بمعنى الظريف المحتال الا في تاج العروس ، وقد اخذها عنه صاحب اقرب الموارد ، واما في سائر المعاجم كالقاموس ولسان العرب والعين والصحاح والمصباح واساس البلاغة ومعيار اللغة والمقاييس والمغرب ومحيط المحيط ومدّ القاموس والباابوس فلم نجدها · فهل من مرشد الى كتب أُخرى وردت فيها هذه الكلمة ؟

ابو خلسا او ابو حليس · وردت الاولى في تاج العروس في مادة (خسّ الحمار) ووردت الثانية في المعجم المذكور في مادة (حلس) ولقد بحثت عنهما فوجدت ان الفرس سموها (انخوسا) ووردت في معاجمهم بصورتين اخريين مصحفتين وهما (ابخوسا) بباء موحدة تحتية بعد الهمزة و (انجوسا) بهمزة ثم نون موحدة فوقية يليها جيم والارميّون سموها (انكوسا) واللغة الاصلية اليونانية هي (انخوسا) اي (Anchusa) لكن العرب رأوا فيها مادة الخسّ وتصوروا ان (ان) هي (اب) ثم اعربوها في الاضافة فصارت كما ترى ·

أُريز القوم : عميدهم وكبيرهم والإرّيس (وزان سكيت) كبير القوم او اميرهم

وعميدهم (اللغويون) — مَن فلّى مادتي (ارز) و (ارس) لا يرى فيهما مايؤيد معنى الرئاسة او الامارة او ما ضاهاهما ولهذا يحكم اللغوي انهما دخيلتان في اللغة الضادية وهما من اصل يوناني واحد وهو (Aristos) بمعنى العربيتين .

الحظيرة هي من اليونانية (Aithrion) ومقابلة الحرف اليوناني (T H) للعربي (ظ) غير بعيد والكلمة هي بالرومية (Atrium) .

العَذِرة بفتح فكسر لمجلس القوم من اليونانية (edra) بمعناها .

الأَرْيان بالفتح : الخراج والاتاوة . وقد جاء ذكره في الحديث . وعندي ان معناه الخراج الذي يدفع دَراهِمَ . والكلمة اليونانية المقصورة عنها وهي Ar (gur) ion تعني الدراهم .

الجُرْن : بمعنى الحجر المنقور يتخذ للماء وغيره ، نصرانية . جاءتنا عن طريق الارميين وهؤلاء اخذوها من اليونانية (Grôné) بمعناها ولم ينبه على اصلها احد من اللغويين ولا عن طريق وصولها الينا .

العُتُلّ بضمتين فتشديد هو من اليونانية (athelus) بمعناها .

الجَرْس بمعنى الصوت من اليونانية (Gérus) زنةً ومعنى .

خُرثيّ البيت بمعنى قماشه وامتعته الدنيئة من اليونانية (Gruté) .

الجذل بمعنى الفرح هو من اليونانية Géthal (éos) بعد حذف اداة الاعراب ولا تعجب من تعريب النعت ونقله الى لغتنا فقد عربوا من ذلك شيئاً كثيراً واشهرها الفيلسوف واما الفلسفة فليست معربة مباشرة من اليونانية وانما اشتقوا من الفيلسوف فعلاً وهو فلسف وتفلسف والفلسفة مصدر الفعل الاول . وقد مرّ بك العُتُل وهو نعت معرّب كما رأيت .

القارّة هذه كلمة اولع بها المحدثون و يريدون بها قسماً عظيماً من الارض و يقال لها البر العظيم . ولم يذكروا اصلها . فيحتمل ان تكون من التركية (قَرَه) بمعناها ، كما اخذ العصريون البوغاز عن اللغة المذكورة ، و يحتمل ان تكون من قرّت الارض في البحر اي ثبتت وسكنت فهي قارّة ، بمعنى ثابتة اوفاعلة بمعنى مفعولة اي مقرورة ، على اني ارجح ان الكلمة من اليونانية (Xaré) بتقدير (Gé) اي ارض يابسة وكثيراً ماننقل

(X) الى قاف في العربية مثل يرموق (Hieromax) لان القارة هي بمقابلة الاوقيانوس للماء . ويحتمل ان تكون التركية من اليونانية ونحن اخذناها عن الترك في عصرنا هذا او اننا اخذناها رأساً عن اليونانية كما اخذنا عنها الاوقيانوس وهو مقابلها .

عند الفرنسيين لفظة هي (Magnificence) لا تكاد ترى لها مقابلاً في المعاجم الفرنسية العربية التي في ايدينا ، مع ان اصحابها ذكروا لها الفاظاً عديدة مثل فخامة وعظمة وابهة وجزالة وعزة وكبرياء وكلها مقاربة لكنهـا ليست مقارنة لها ، واحسن تعبير عنها هي : «المبالغة في ماوصف بجميل» وهذه عبارة طويلة لاتفي بالمقصود ، فنحن نريد لفظة واحدة تقوم لنا بالمطلوب ، وهذه الكلمة هي (الحبرة) بفتح وسكون او بفتحتين وقد شرحها اللغويون هذا الشرح الذي اسلفنا ايضاحه وذكروه في مادة حبر والكلمة غريبة او دخيلة في العربية وهي باليونانية (Habrotés) والحرف الاول هو (a) تتقدمه علامة التفخيم و يراد بها عند العرب الحاء .

فالفرنسية اذاً لا يقابلها عند العرب الا كلمة واحدة لاغير وهي حبرة .

الأس بمعنى اصل الشيء جوهره من اليونانية (ousia) وكأن بعض العرب جهلوا هذا المعرب فنقلوا اليونانية بصورة (الآزيّ) بهمزة ممدودة بعدها زاي ثم ياء مشددة وقد ذكرها المنبجي في تاريخه المسمى بـ (العنوان) في ص ٥٤٩ فقال : انه كان ... من آزيّ آخر . انتهى .

السَّقْف من اليونانية ايضاً وهي من (skepé) بمعناها .

السَّكْب ثياب قال في التاج : ضرب من الثياب رقيق كأنه غبار من رقته وكأنه سكب ماء من الرقة و يحرك ، عن ابن الاعرابي اه . وهو من اليونانية (Skeué) والحرف اليوناني (u) كثيراً ما ينقل الى العربية بصورة باء موحدة تحتية ، على ان التأويل المذكور يحمل اللغوي على القول انها عربية وليست كذلك .

الأَزْبة وفيها لغة وهي الازمة بمعنى القحط والجدب من اليونانية (spa (nis وضعت العرب همزة في الاول توصلاً للفظ والمعنى واحد .

السندريّ . الشديد من كل شيء وضرب من السهام والنصال والابيض من النصال والجريء المتشبع (اللغويون) والكلمة يونانية من (sidéreos) ومعناها :

الحديدي او من حديد وفي المجاز الشديد من كل شيء كما في العربية والجرسي المتشبع و باقي المعاني اليونانية مأخوذة من باب التوسع كما هو ظاهر لادنى تدبر . واما معناها لضرب من السهام والنصال مأخوذ من (sidérion) ومعناها كل اداة اتخذت من الحديد وهذا موجود في السهام والنصال فالكلمة اذاً يونانية صرفة .

العَبْقَريّ في اصح معانيها : « الذي ليس فوقه شيء » و باقي المعاني متفرعة من هذا الاصل الذي ذكره جميع اللغويين ، وليس للكلمة حظ من العربية فهي من (hupercheiros) بحرف مفخم في الاول يقابله في العربية مرة الحاء ، وأخرى العين ، واحياناً الهاء ، وقليلاً الهمزة ، ومعنى الكلمة اليونانية المنحوتة : الذي فوق اليد ، اي الذي ليس فوقه شيء اوالذي لاتصل اليه اليد او الذي تفوق طاقته طاقة مألوف البشر التي يعبر عنها باليد . فانظر ما ابدع هذا المعنى وما اوفاه بالمطلوب اذا ما وقفت على سر وضعه !

السَنْدَريّ بمعنى الجيد والرديء ، وهو معرّب كلمة (Sindrón) ومعناه الخبيث والشاطر من العبيد الذي اعيا مولاه خبثاً واللفظ العربي وان كان موافقاً لما ذكرناه للذي ورد في العدد ٩٠٣ الا انه من لفظ يوناني آخر ومثل هذا في العربية غير قليل ، والغريب في هذا المعنى انه الجيد والرديء فكيف يكون ذلك ؟ — يكون باعتبار الموقف الذي تقف فيه لتنظر الى ما تريده . فان رأيت الخبث والكسل والكذب الى نحوها في العبد قلت انه رديء ، وان كان مع خبثه ورداءته يجود بنفسه حباً لمولاه فهو جيد ، وعلى هذا التأويل هو جيد ورديء معاً . لا ان جيده رديء او رديئه جيد .

النَيْطَر والنيطر قال في التاج : النَيْطَر كزبرج : الداهية . هكذا بالياء بعد النون في سائر النسخ ، وضبطه الصاغاني بخطه بالهمزة بدل الياء . اه . واظن ان في قوله الداهية نقصاً والصواب الداهية في الكتابة وهو من الرومية (Notarius) بمعنى السريع في الكتابة الذي يختزل الالفاظ وهو المعروف اليوم عند الفرنسيين باسم (Sténographe) .

الجرّار سمعت يوماً رجلاً يسمي (الجنرال) جرّاراً وسمعت آخر يسميه (جَنَرار) كما اسمع كثيرين من البغداديين يسمون (القنصل) (قُنْصُر) وما كنت اتصور ابداً

اني ارى في كتاب كلمة الجرّار بمعنى قائد الالف لاني لم اجدها في مظانها في دواوين اللغة ، لكني عثرت قبل سنوات في اللسان في مادة حفز ما هذا نصه : « في التهذيب : الحوفزان : اقب الجرار من جراري العرب ، وكانت العرب تقول للرجل اذا قاد الفاً (جراراً) اه فيحتمل ان تكون الكلمة من generalis (dux) ، الا اني لم اعثر عليها في كتب القوم .

الفَلُوت من الاكسية : الذي لا ينضمّ طرفاه من صغره او ضيقه فكأن لابسه كلما حاول ضمه فلت طرفاه ومنه هذا النعت ، على اني اراه معرباً من اليونانية (Pellos) وهو كساء اريد يلبسه الفقراء والحزانى وكثيراً ما يكون ضيقاً فلا ينضم طرفاه . وقلب السين المتطرفة تاء اكثر من ان يحصى فلا يبعد من ان يكون اللفظ دخيلاً في العربية ، لكنه صادف اشتقاقاً او قل مادة عربية فتوهم الناس انه منها . الم يقولوا ان الاطربون من الطرب ، وابليس من بلس ، والاسطرلاب من اسطر ولاب . الى غيرها مما تراه مدوناً في مواقعه .

سَقَر او صَقَر بمعنى جهنم هو من الرومية (sacer) بتقدير (Locus) اي محل مذموم وملعون او مكروه والا فالمادة العربية لا تحرر هذا المعنى .

الصَقُر بمعنى اللعن هو من اللفظة المذكورة الرومية التي هي بمعنى العربية .

الفَلَتي بالتحريك وبياء النسبة في الآخر وتجمع على فلتية هي عند العامة بمعنى الذي لا يصون نفسه عن ارتكاب المنكرات وهي تشبه الرومية (Pullata) بتقدير (Turba) ومعناها جماعة السفلة وحثالة الناس التي لا تمتنع عن اتيان المنكرات ، لكني لا اقطع بهذا الامر ولعله من توافق اصول اللغات وهو غير مجهول .

الفاروق على ما في التاج : ما فرق بين الشيئين . ورجل فاروق : يفرق بين الحق والباطل . والفاروق : اسم سيدنا امير المؤمنين ثاني الخلفاء عمر بن الخطاب (رضه) لانه فرق بين الحق والباطل . وقال ابراهيم الحربي : لانه فرق بين الحق والباطل وانشد لعويف القوافي :

ياعمر الخير الملقى وفقه سميت بالفاروق فافرق فرقه

او لأنه اظهر الاسلام بمكة ففرق بين الايمان والكفر . قاله ابن دريد . وقال

الليث : لانه ضرب بالحق على لسانه في حديث طويل ذكر فيه ان الله تعالى سماه الفاروق ، وقيل جبريل (ع) وهذا يومئ اليه كلام الكشاف او النبي (صلعم) وصححوه ، اواهل الكتاب . قال شيخنا : وقد يقال لا منافاة . اه المقصود من ايراده .

على ان الطبري قال (٣ : ٢٣١٠ من طبعة الافرنج) قال ابن سعد انبأنا يعقوب ابن ابراهيم بن سعد عن ابيه عن صالح بن كيسان قال : قال ابن شهاب : بلغنا ان اهل الكتاب كانوا اول من قال لعمر « الفاروق » وكان المسلمون يأثرون ذلك من قولهم ، ولم يبلغنا ان رسول الله (صلعم) ذكر من ذلك شيئاً . انتهى .

ولما كانت لغة اهل الكتاب يومئذ الارمية كان هذا اللقب ارمياً وهو في هذه اللغة (فاروقاً) ومعناه المنقذ او المخلّص او المنجّي ولقب به لان اليهودي الذي كان اول من لقب عمر بهذا اللقب عدّه مخلصاً لايلياء (اورشليم) وهذا كلام الطبري (١ : ٢٤٠٣) : وعن سالم قال : لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق فقال : السلام عليك يافاروق ، انت صاحب ايلياء ، لا والله لاترجع حتى يفتح الله ايلياء ..... اه . فكل هذه الشواهد تنص على ان اصل اللفظة ارمية ، وان لم يصرح بهذا الرأي احد ، اولعل احداً صرح به لكننا لم نعثر عليه .

ومن رأينا ان كلّ ماجاء على فاعول هو ارمي الاصل . ومع كل هذا اننا نرتاب في الاصل الارمي ونظن انه يوناني ، للاسباب الآتية :

١ً — لان الكلمة وردت في الشعر القديم المقول في عمر ومعها لفظة رومية . فقد أنشد زياد بن حنظلة (١ : ٢٤١٠ من تاريخ الطبري) :

واذ ارطبون الروم يحمي بلاده ... يحاوله قرم هناك يساجله
فلما رأى الفاروق ازمان فتحها ... سما بجنود الله كيما يصاوله

فارطبون هو (Tri bunus) ويحسن ان تكون الفاروق دخيلة ايضاً .

٢ً — ولنا دليل آخر على ذلك ان عمر هو الخليفة الذي حج بالناس في سنة احدى عشرة وفي سنة اربع عشرة الى مابعدها الى سنة ثلاث وعشرين ولم يتفق ان رجلاً تولى الحج بالناس في عدة سنوات كما فعل عمر وكان يقوم بشؤون الحجاج ويقضي

ما يحتاجون اليه ولذلك عرف بالفاروق(Parochos) الذي معناه المضيف وصاحب القرى وكان كذلك ٠

على اننا لا نريد ان نجزم كل الجزم في هذه المسألة ، والذي نصرح به ان الكلمة ليست بعربية بل دخيلة ونرجح يونانيتها على ارميتها ٠

البِلِّيت وزان سكيت لفظاً ومعنى وهو الزميت ، عن ابي عمرو ٠ والبليت : الرجل الفصيح الذي يلت الناس اي يقطعهم ٠ وقيل : البليت من الرجال : البَيِّن ، العاقل ، اللبيب ، الاريب ، عن ابي عمرو ايضاً « التاج » وعندي : هذه كلها اوصاف الرجل في مجلس الشيوخ واللفظ معرب اليونانية(Bouleutès)المشتقة من فعل(Bouleuô) الذي معناه فكّر بسكوت وقطع الامر بعد الرَوية فيه وجزمه وَبَتّه وقد خصّوا البليت بكل عضو من اعضاء مجلس الشيوخ (Sènateur) فما احرى بنا ان نأخذ لفظة السلف لندل بها على شيخ مجلس الشورى وما احرى بنا ان نسمي مجلس الشيوخ مبلتاً (Sènat) وزان معمل وقد حار العصريون في اتخاذ لفظة واحدة لا تشترك بغيرها للدلالة على الشيخ في مجلس الشورى او على المجلس نفسه ٠ وهذه لفظة رقيقة سائغة ٠

السُنْدُس ذهب فرنكل (في كتابه الالفاظ العربية الارمية الاصل ص ٤١) الى ان السندس معرب (Sindôn) ونحن لا نرى رأيه بل نظن ان السندس تعريب (Sandux) وهو ثوب رقيق شفاف ذو لون رائق تلبسه اللوذيات ٠ والعرب تريد بالسندس : رقيق الديباج ورفيعه ٠

القَفَا بمعنى الرأس تعريب (Kephalè) اليونانية ٠

والقَذَال عندي هو معرب الكلمة المذكورة وقد قلبوا فيها الفاء ذالاً لتفريق في المعنى ٠

العَرْش بمعنى سرير الملك والقصر تعريب الرومية (Arx)واذا كانت بمعنى رئيس القوم ومدبرهم فهي معرب اليونانية (Arhos) ٠

السحنة بمعانيها المختلفة وهي النعمة والهيئة والحال واللون، تعريب اليونانية(Schema)٠

السيمة والسُومة والسِمَة والسِيمَى والسِيماء والسيمياء بمعنى العلامة والهيئة من اليونانية (Sèma) بمعناها ٠

الضَيْزَن بمعنى الخزّان مقطوعة من (Thesaur (ophylax ·

المَرْزَة بمعنى القطعة من الشيء من اليونانية (Meris) ·

القُرْزُل شيء تتخذه المرأة فوق رأسها كالقنزعة وهو من اليونانية (Korsulé) بمعناها والعراقيون يسمون كُرزالة للمدرة المجمعة كالقرزل ·

القِرْزَحْلة خشبة طولها ذراع نحو العصا او طولها شبر وهي من اليونانية المذكورة آنفاً التي هي ايضاً بمعنى الدبوس او الخشبة القصيرة وقد عربت بصورة ثانية لجعل الفرق في المعنى بين الحرفين ·

القُرْقُبّة كزخْزُبة : لحمة الصيد · وفي التاج : هذا من زياداته اه · ولم اجدها انا في غير القاموس ، و يحتمل ان تكون معربة من اليونانية (Kreôkopos) ومعناه : الذي يقطع اللحم قطعاً على المائدة ، او في محل آخر ، وهو من فعل (kreôkopeô) ومعناه قطع اللحم قطعاً او خردَله · والظاهر ان السلف لما رأوا اللفظ مخالفاً وزنه لاوزان اسم الفاعل ظنوه اسماً للقطعة لا اسماً للقاطع والحق ان الاصل هو مقطع لحم الصيد فحذفوا المضاف وابقوا المضاف اليه وهو كثير في كلامهم ·

القُرْقُبيّ : نوع من الثياب وهو من اليونانية (kerkis) ·

الرَقّة كل ارض الى جنب وادٍ ينبسط الماء عليها ايام المدّ ، ثم ينضب فيكون مكرمة للنبات ، والارض التي نضب عنها الماء · وهي تعريب (Rakhia) بمعناها ·

العرباض : المرتاج الذي يلزق خلف الباب وكثيراً مايكون معقف الرأس ليدخل في رزة تكون وراء الباب والكلمة من اليونانية (Harpax) ·

العِرْفاص العقب الذي يجمع رؤوس خشبات الهودج و يكون بهيئة كرة والكلمة يونانية (Harpaston) ومعناها الكرة الضخمة يلعب بها · ويقال في العرفاص : عرصاف وتجمع على عراصيف وتقلب فيقال فيها عصافير ·

العرفاص ايضاً : سوط يعاقب به السلطان وهو تعريب اليونانية (Harpax) ومعناها يد من حديد يضرب بها العدو ·

الوَدَم زيادة تكون في بعض الاعضاء وهي لا تكون الا من مرض · والكلمة يونانية من (Oidéma) بمعناها ·

الطَّرَب من اليونانية (Tharubos) بمعناها .
الشِلْق سمك اختلف العلماء في تعريفه وهو من اليونانية (Selakhos) وقد اختلف اليونانيون ايضاً في تحقيقه ويقابله عند الفرنسيين اسماك مختلفة منها (Grenouille de mer و pélrin و Sélacien) .

محقق

الموسيقى والموسيقاريون في حلب

« حسن الصوت في الحلبيين »

يكثر حسن الصوت في الحلبيين كما نبه على ذلك الاستاذ فنديك في كتابه المرآة الوضية ، ولذا لاتخلو مدينة حلب في اكثر الاوقات من الشداة والمترنمين الذين يعدون بالمئات على ان من كان من المغنين يأخذ على غنائه اجرة يعرف عند الحلبيين باسم ابن الفن . والحلبيون ولعون بالشدو وحسن الصوت ، وكثير من ذوي الاصوات الحسنة يتغنون وهم سائرون في الشوارع حتى لو انك جلست ليلاً في غرفة مطلة على جادة لسمعت من حين الى آخر مترنمين ترتاح النفس لشدوهم وحسن اصواتهم ، وقد يكون احدهم من اماثل الناس وظرفائهم كما يكون من غوغائهم والطبقة المنحطة منهم .

« المغنون النوابغ المتوفون الحلبيون »

الحاج مصطفى البَشْنك

من رجال اواسط القرن الماضي وهو ممن لم ندرك ايامه : كان على ما يقال آية بحسن الصوت والفنون الموسيقية . وروى لنا جماعة من اشياخ حلب انه هو الذي فتح نادياً لممارسة الفنون الموسيقية دعي في وقته باسم (قاعة بيت مشمشان) فكان يهرع اليه في الاوقات المعينة كثير من المولعين بهذه الفنون ليتلقوها عن استاذها . ثم بوفاة هذا الرجل اغلق ذلك المكان ولم يبق له اثر غير ان الحلبيين ما زالوا يضربون به المثل للمكان الذي تتوفر فيه دواعي الطرب فيقولون « ولاقاعة بيت مشمشان » .

الحاج عبدالله البويضاتي

من رجال اواسط القرن الماضي : وهو ممن لم ندرك زمانه وكان على مايروى مبرزاً

الطَرَب من اليونانية (Tharubos) بمعناها ·

الشِلْق سمك اختلف العلماء في تعريفه وهو من اليونانية (Selakhos) وقد اختلف اليونانيون ايضاً في تحقيقه ويقابله عند الفرنسيين اسماك مختلفة منها (Grenouille de mer و pélrin و Sélacien) ·

محقق

الموسيقى والموسيقاريون في حلب

« حسن الصوت في الحلبيين »

يكثر حسن الصوت في الحلبيين كما نبه على ذلك الاستاذ فنديك في كتابه المرآة الوضية ، ولذا لاتخلو مدينة حلب في اكثر الاوقات من الشداة والمترنمين الذين يعدون بالمئات على ان من كان من المغنين يأخذ على غنائه اجرة يعرف عند الحلبيين باسم ابن الفن · والحلبيون ولعون بالشدو وحسن الصوت ، وكثير من ذوي الاصوات الحسنة يتغنون وهم سائرون في الشوارع حتى لو انك جلست ليلاً في غرفة مطلة على جادة لسمعت من حين الى آخر مترنمين ترتاح النفس لشدوهم وحسن اصواتهم ، وقد يكون احدهم من اماثل الناس وظرفائهم كما يكون من غوغائهم والطبقة المنحطة منهم ·

« المغنون النوابغ المتوفون الحلبيون »

الحاج مصطفى البَشْنَك

من رجال اواسط القرن الماضي وهو ممن لم ندرك ايامه : كان على ما يقال آية بحسن الصوت والفنون الموسيقية · وروى لنا جماعة من اشياخ حلب انه هو الذي فتح نادياً لممارسة الفنون الموسيقية دعي في وقته باسم (قاعة بيت مشمشان) فكان يهرع اليه في الاوقات المعينة كثير من المولعين بهذه الفنون ليتلقوها عن استاذها · ثم بوفاة هذا الرجل اغلق ذلك المكان ولم يبق له اثر غير ان الحلبيين ما زالوا يضربون به المثل للمكان الذي تتوفر فيه دواعي الطرب فيقولون « ولاقاعة بيت مشمشان » ·

الحاج عبدالله البويضاتي

من رجال اواسط القرن الماضي : وهو ممن لم ندرك زمانه وكان على مايروى مبرزاً

بالفنون الموسيقية . وهو معدود في زمانه من اساتذة هذا الفن الذين يقصدهم المشتغلون به للاخذ عنهم .

الحاج محمد بن عبدو

من رجال القرن الماضي واوائل القرن الحالي : وهو من خلفاء البويضاتي وكان لا يباريه في زمانه مبارٍ بحفظ الطبقة ومعرفة الاصول الموسيقية .

الحاج اسماعيل الشيخ

من رجال القرن الماضي واوائل القرن الحالي : كان هو الفذ المفرد باللحن الحجازي ونغم السيكاه وانشاد اشعار الصوفية والقصائد النبوية وكان سامعه لا يملك عبرته لما يغشاه من الخشوع وجلال المقام والمقال .

جبرا الاكشر

من رجال القرن الماضي واوائل القرن الحالي : كان بارعاً باللحن العراقي وعلو الطبقة . وكان المسلمون يودونه و يسرون بحضور مغناه ويعدون غيابه عن حفلات أعراسهم وأفراحهم نقصاً في دواعي طربهم .

آجق باش

من رجال أواخر القرن الماضي : كان بارعاً باللحن الشرقي والمواليات .

طاهر النقيش

من رجال أواخر القرن الماضي : كان جامعاً بين حسن الصوت وحسن الصورة كثير الحفظ أديباً أريباً ماهراً بالفن الموسيقي : انفرد من بين المغنين أبناء الفن بحسن الأداء والتزام السكون والتحاشي عن الحركات التي تشوه مناظر المغنين وتقبح مرآهم . فكان اذا تغنى لا يضطرب جسمه ولا يميل شدقه ولا يهز رأسه ولا يقطب حاجبيه ولا يضع كفه فوق خديه . وقد ولع به كثير من الناس الذين يعدون من علية القوم وظرفائهم . وصرفوا على مجالس غناه المبالغ الطائلة . وكان المغنون المصريون في زمانه يحضرون الى حلب للارتزاق بمهنتهم فلا يجدون التفاتاً من الناس استغناء عنهم بطربهم الوحيد طاهر فيعودون الى مصر صفر اليدين من أموال الحلبيين .

الشيخ محمد الوراق

من رجال القرن الماضي والحاضر : كان من العلماء المتفننين بالعلوم العقلية والنقلية ناظماً ناثراً بارعاً بالفن الموسيقي . وكان يتحاشى التغني في مجالس العامة صوناً لشرف العلم . فكان لا يسمع له صوت بالتغني الا في حلقات الاذكار .

الدويش صالح قصير الذيل

من رجال القرن الماضي واوائل القرن الحالي : كان ممن أوتي مزماراً من مزامير داود ، وقد طلبه السلطان عبد الحميد خان الثاني ووظفه في قصر يلدز بوظيفة مؤذن ثان وغمره باحسانه وانعم عليه بعدة رتب واوسمة وقد بقي في قصر يلدز مدة طويلة ثم صدر منه بعض الهنات فأمر السلطان باقصائه الى بلدته حلب .

السيد محمد غزال

من رجال القرن الماضي واوائل القرن الحالي : كان منفرداً بادارة الحلقات الكبرى التي تحلق لاقامة الاذكار القادرية والرفاعية بحيث كان لا يوجد بين اقرانه من هو قادر على ضبط مثل هذه الحلقات غيره ، وكان كثير الحفظ حاذقاً بالفنون الموسيقية الا انه كان ورعاً منكمشاً عن الناس قانعاً من الرزق بما تيسر له من الانشاد في حلقات الاذكار .

باسيل حجار

من رجال القرن الماضي واوائل القرن الحالي : كان من التجار وهو ممن برع بالغناء وانفرد بطواعية الصوت وكان يتحامى اخذ الاجرة على غنائه . فلا يغني الا لخواص احبابه واترابه . وكان خصيصاً بالمرحوم علي محسن باشا الفريق وقد بلغنا ان شركة ناقلة الصدى اخذت منه بعض الاصوات ودفعت له عنها اجرة قدرها خمسمائة ذهب عثماني .

السيد احمد سالم

من رجال القرن الماضي وأوائل القرن الحالي : كان من المنفردين بين أقرانه بحفظ أشعار ابي الطيب المتنبي والتغني بنسيب قصائده . وكان عالي طبقة الصوت بحيث يخرس الناي والكمنجه . وكان حينما يتغنى بنسيب المتنبي يخال سامعه ان ابا الطيب جالس في مجلس عظمته ومحفل كبريائه ينشد قصائده خصيصه سيف الدولة بن حمدان .

السيد احمد بن عقيل

من رجال القرن الماضي وأوائل القرن الحالي : كان آية بكثرة المحفوظات من القصائد والاغاني والازجال ماهراً بالفنون الموسيقية عنده طرف من العلوم العربية ظريفاً لطيفاً اديباً اريباً يورد من الاشعار والاغاني في كل مقام ما هو خليق به حسن الادراك سريع الانتقال حضرت مجلس غنائه في ضيافة احتفل بها مفتي حلب الاسبق الشيخ ابو بكر الزبري للمرحوم محمد رشدي باشا الشرواني والي حلب فأنشد السيد احمد قصيدة ابن الفارض التي منها قوله :

عطفاً على رمقي وماابقيت لي من جسمي المضنى وقلبي المدنف

فكسر العين من قوله عطفاً فناداه الباشا بقوله : افتح عينك يا احمد . ففطن في الحال لما أراد وأعاد البيت وفتح العين من عطفاً .

وممن أخذ عن السيد احمد بعض فصول الرقص المعروف بالسماح — السيد ابو خليل القباني الدمشقي الشهير بفن التمثيل — فقد حضر الى حلب واجتمع بالسيد احمد عدة مرات كنت في احداها معهما في بيت السيد احمد وشهدت نوبة سماح قاما بها على ضروب شتى من الايقاع والالحان . وممن أخذ عنه بعض الفصول الموسيقية العربية زوجة قنصل ايطاليا السابق في حلب وكانت معجبة به وسمعتها مرة تقول ان السيد احمد يقل نظيره في هذا الفن حتى في اوربا . وممن أخذ عنه بعض فصول الغناء التي يتغنى بها في رقص السماح السيد عبده الحمولي احد مشاهير المغنين في مصر .

كان المرحوم الشيخ ابو الهدى الصيادي يطرب بسماع السيد احمد ويلذ له انشاده فكان يستدعيه من حين الى آخر الى استانبول ويضيفه مدة طويلة و يدر عليه هباته وجوائزه ويستحصل له المرتبات من الخزانة المالية وغيرها . وللسيد احمد كتاب حافل ألفه في اصول الفنون الموسيقية أطلعني عليه مرة وطلب مني ان أصدره بخطبة فلبيت طلبه وأعدت الكتاب اليه . ولا أدري ما ذا فعل الزمان به بعد وفاته .

المغنون الاحياء في حلب

المغنون الآن في حلب كثيرون جداً وهم ما بين حلبي ومصري ومدني غير انهم لا يوجد فيهم نابغة في هذا الفن سوى واحد حلبي اسمه : « عبدو بن الحاج محمد عبدو

المتقدم الذكر » . على ان هذا الرجل الوحيد بين بني حرفته في حلب كان يمضي معظم أوقاته عند السلطان خزعل سلطان المحمرة وهو الآن في بغداد .

شرف الدين افندي المصري

ليس هو من أبناء الفن ولا ممن يتغنون بالاجرة وانما هو شاب أديب أريب موظف الآن بتدريس الفنون الموسيقية وتلحين الزجلات والاغاني الوطنية والحماسية في المكتب السلطاني بحلب وهو على غاية ما يكون من المهارة والحذق في الفن الموسيقي حسن الصوت لطيف النغمة حلو الحديث كاتب بارع دمث الاخلاق حلو الشمائل واسع الاطلاع بالعلوم العربية وفنون الادب .

القينات في حلب

للنساء المسلمات قينات يطربنهن بالحانهن في الاعراس والافراح نظير ما للرجال من المغنين والمطربين وتعرف القينة عندهن باسم (الخوجه) وهن كثيرات مسلمات ويهوديات لا نعرف منهن نابغة سوى واحدة تدعى : « الحاجة عائشة المسلمية » وهي من قينات القرن الماضي وأوائل القرن الحالي : كانت في أول أمرها مسيحية ولما بلغت سن العشرين تزوجت بشاب مسيحي أقامت معه مدة ثم أسلمت وفارقت زوجها ولم تتزوج باحد بعده ثم حجت وتعلمت القرآن واشتغلت بالفن الموسيقي فمهرت به وكان صوتها في منتهى درجات الحسن فصارت قينة مختصة بالنساء تحاذر ان يسمع صوتها الرجال وقد اختص بها طائفة من المخدرات الغنيات وبذلن في منادمتها وسماع انغامها الكثير من المال حتى أثرت وعظمت نعمتها ، وكانت كثيرة الصدقات حتى قيل ان جميع ما ملكته من حطام الدنيا أنفقته في سبيل الله قبل وفاتها وأوصت بالباقي منه لينفق في هذا السبيل بعد وفاتها . وكانت بارة بزوجها المسيحي تنفق عليه وتتكلم معه من وراء حجاب وقد توفيت في العقد الاول من هذا القرن .

المطربون في حلب العازفون بالآلات الموسيقية

العود المعروف ايضاً بالبربط : العود موجود في حلب معروف عند اهلها من قديم الزمن يدل على ذلك ورود وصفه وذكر محاسنه في كثير من النظم والنثر اللذين تتضمنها مؤلفات ادباء الحلبيين وشعرائهم . ومن اقدم الادلة على وجوده في حلب ورود ذكره

في كلام الاعرابي اخي بني عذرة ضيف الهيثم بن عدي حينما كان ضيفه محمد بن يزيد ابن معاوية على ما حكاه ابن عبد ربه في باب المتعصبين للعرب في كتاب العقد الفريد ٠

اما وجوده في القرن الماضي فغير معلوم ولا ندري متى انقطع استعماله في حلب حتى ان الحلبيين الذين لم يروه في غير حلب كانوا يجهلون شكله ولا يعرفون شيئاً من اوصافه سوى ما يرونه في مدحه من اشعار الأدباء ودواوين الصبابة مستمرين على ذلك الى سنة ١٢٩٣ وفيها قدم حلب شاب دمشقي عرف عند الحلبيين باسم سعيد الشامي وكان يعزف بالعود وهو ماهر بصنعته فتهافت عليه اهل الصبابة ولا تهافت الذباب على الشراب وكان بعضهم حينما يرى العود في حجره يستغرب شكله ويلمسه بيده كما كان الاعرابي ضيف الهيثم ٠

وبعد مرور سنة من قدوم هذا الشاب ظهر بين الحلبيين رجل اسمه الحاج احمد المغايري يعزف بهذه الآلة تلقى معرفة العزف بها من سعيد الشامي وبرع به كبراعة استاذه بل كان الكثيرون من اهل الصبابة يفضلونه بالعزف على معلمه ٠ ومن ذلك التاريخ عرف الحلبيون هذه الآلة وشاع استعمالها عندهم حتى جاوز عدد العازفين بها في هذه الايام حد الاحصاء وهم شبان وكهول رجال ونساء من كل ملة ومذهب منهم من يعزف بها تجملاً وتفنناً ومنهم من اتخذ العزف بها حرفة للارتزاق وقد ظهر فيهم عدة نوابغ يضيق المقام عن ذكرهم ٠

اما السيد سعيد الشامي استاذ الحلبيين ومجدد هذه الحرفة فيهم بعد ان اخنت عليها الايام والليالي فانه بعد سنتين او ثلاث من قدومه الى حلب تزوج بقينة مسلمة مشهورة بحلب هام بحبها فانقطع عن العمل ولازم معها منزله واختفى عن اعين الناس حتى اصبح نسياً منسياً لا يسمع عنه خبر ولا يدل عليه اثر ٠

العازفون النوابغ بالكمنجه الحلبيون

شعيا الكمنجاتي : من اهل اواخر القرن الماضي واوائل القرن الحالي وقد بلغ من حذقه بالعزف بهذه الآلة انه كان ينام وهو يعزف بكمنجته واصابعه تلعب باوتارها فلا تخطيء النسق كأن لها عقلاً مستقلاً ٠ وكان يقال عنه لفرط براعته بهذه الآلة انه قادر على ان ينطقها ببيت من الشعر ٠ توفي في العشر الاول من هذا القرن ٠

اسحق عدس

كان معاصراً لشعيا وفي اواخر ايامه انتقل الى مصر واقبل عليه الناس وصار يعد من نوابغ اهل هذه الصنعة توفي في مصر ·

نقولاكي الحجار

كان رومياً من اهل استانبول وكان من نوابغ العازفين بالكمنجه وقد اختص به السلطان عبد الحميد خان الثاني ثم غضب عليه واقصاه الى حلب فحضر اليها في اوائل القرن الحالي فخالط الحلبيين وتعلم اللغة العربية وصار يجتمع مع اهل الصبابة و يعزف لهم بكمنجته تفضلاً وتكرما لا يأخذ على ذلك اجرة منهم وكنا نري العجب العجاب من عزفه بكمنجته ومهارته في تقليد الموسيقي الكبير على الطريقة العربية والافرنجية كما انه كان في الدرجة القصوى في محاكاة اصوات الحيوانات فكان اذا حاكى بكمنجته نهيق حمار او صهيل فرس او غيرهما من باقي الحيوانات لا يشك من كان متوارياً عنه ان الصوت الذي يسمعه هو صوت ذلك الحيوان حقيقة : توفي في حلب في العقد الاول من القرن الحالي ·

سامي الشواء

من نوابغ العازفين بالكمنجه وقد اشتهر بحذقه في هذه الحرفة ثم رحل الى مصر واتخذها وطناً واقبل على سماع عزفه الناس اقبالاً زائداً ونال لديهم شهرة تامة ·

العزف بالقانون و بالناي

العازفون بالقانون في حلب كثيرون كالعازفين بالكمنجه والنوابغ منهم قليلون · والعزف بالناي « وهو المعروف عند العرب بالبراعة » قديم في حلب يدل على ذلك ورود الاشارة اليه في حكاية الاعرابي ضيف الهيثم بن عدي وقد ادركنا بالعزف به نابغة اسمه السيد عبدو زرزور · كان مشهوراً بهذه الحرفة قليل النظير حتى في مدينة قونية التي لا يباري دراويشها بهذه الآلة مبار · وقد توفاه الله في العقد الثاني من هذا القرن ولم يزل يوجد في حلب عشرات من البارعين في هذه الآلة كلهم من خريجيه وتلامذته ·

حلب : عضو المجمع العلمي العربي

كامل الغزي

كتابان نادران

يعدان للطبع

ان في دور الكتب العامة والخاصة في سورية والعراق ومصر كثيراً من الكتب النفيسة يرجع تاريخها لأزهر عصور الادب والعلم العربي ولكنها احتجبت عن الانظار وظن بانها فقدت منذ أمد طويل . وفي كل سنة نسمع باكتشاف مخطوطات قيمة جديدة وذلك بحث رجال العلم وتعطشهم ولذلك لا يستحيل بان الطلب الآتي يجني ثمرته اذا اشرت لآثار المخطوطات المهملة ليومنا هذا .

أسعدني الطالع في سنة ١٩٠٧ بالعثور على مخطوط في بيت المقدس اسمه كتاب الوزراء لابي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري المتوفى سنة ٣٣١ ه وهو محفوظ اليوم في دار الكتب الاهلية في فينا (رقم ٩١٦) وهذا المخطوط هو النسخة الوحيدة المعروفة في اوربا لأقدم كتاب عربي بحث في تاريخ الوزراء . ومما يؤسف له بانه غير تام لان البحث يقف عند زمن المأمون ولو كان تاماً لعرفنا منه المناسبات والاخبار الموثوق بها . لانه من المرجح ان ابن عبدوس استقصى من أوثق المصادر لعصر قريب العهد منه ولا يستبعد وجود نسخة ثانية منه ننتظر من يكتشفها .

وهناك نابغة آخر شاب معاصر لابن عبدوس وهو ابو بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٤٦ وهو كذلك مؤلف تاريخ الوزراء ويقال بانه يحتوي على كثير من القصائد العربية ولم يعثر على هذا المصنف بعد .

ان ما نعرفه عن مبدإ الجغرافية العربية نادر جداً فعلماء الجغرافية اليونان كانوا اساتذة العرب مثل بطليوس صاحب كتاب المجسطي غير ان العرب فاقوا بسرعة اساتذتهم ولذلك اهملت التآليف العربية التي استندت الى المصادر الجغرافية اليونانية لانها اصبحت لا تلائم احتياج الزمان . ومما ذكره حاجي خليفه انه (اندرس كثير مما ذكره بطليوس وتغيرت اسماؤه وتنكر خبره فانسد باب الانتفاع منه) وزاد على ذلك (وقد عربوه في عهد المأمون ولم يعثر الآن على تعريبه) ويرجح بانه كان يوجد اكثر من ترجمة وتصنيف لبطليوس صححت تباعاً .

وقد وجد العالم الالماني سبيتابك (Spitta bey) نسخة من هذه الترجمة حملها الى اوربا وهو كتاب صورة الارض لمحمد بن موسى الخوارزمي الذي عاش على عهد المأمون نحو سنة ٢٠٥ وكان من اشهر الرياضيين في العالم. وهذا المخطوط محفوظ اليوم في مكتبة جامعة ستراسبورغ (مخطوط ٤٢٤٧) و يوجد في متحف بريطانيا مصنف آخر بهذا العلم القديم وهو كتاب الاطوال والعروض لسهراب (رقم ٢٣٣٧٩) وقد سمعنا بسفرين غيره الاول هو كتاب رسم المعمور المنسوب للفيلسوف الكبير الكندي والثاني اسمه كتاب الاطوال والاعراض كتبه في الزمن القديم مؤلف مجهول . هل فقد هذان التأليفان ياترى ؟

ولقد عقدت العزم ان شاء الله على طبع كتاب الوزراء لابن عبدوس وكتاب صورة الارض للخوارزمي وارجو بان اقدمها قريباً لمحبي العلم العربي و يهمني ان اعرف اذا كان يوجد احد هذه الكتب المذكورة مثل كتاب الوزراء للصولي اوغيره لاحد علماء الجغرافيه الاقدمين في مكاتب الشرق حيث ننتظر من يظهرها .

ومن الممكن بان يعثر على نسخة من كتاب الوزراء تحتوي على القسم الناقص لمخطوط فينا او نسخة ثانية من كتاب صورة الارض للخوارزمي .

ان كل ما سألقاه عن هذه الاكتشافات لاتكون ذات فائدة عظيمة لي فقط بل لجميع مستشرقي العالم الذين يهتمون لذلك جد الاهتمام .

فارجو والحالة هذه من علماء البلاد الشرقية وخصوصاً المتضلعين من آداب الامة العربية وتاريخها بان يعلموا المجمع العلمي العربي في دمشق بكل ما يتعلق بهذا البحث و ينيره واني معتمد على لطف المجمع العلمي لكي يرسل اليَّ كل ما يرد اليه من هذه المعلومات .

الدكتور : هانس فون موجيك Dr. Hans. v. Mzik

مطبوعات حديثة

منهج التعليم الابتدائي

اهدت الينا ادارة المعارف في حكومة فلسطين هذا الكتاب الذي يتضمن مناهج التعليم الابتدائي وقد الفت به المنهج الذي كانت نشرته سنة ١٩٢١ وهو يقع في نحو مئة صفحة حسنة التبويب والتقسيم يتخللها صفحات بيض خالية من الكتابة وكأنها اعدتها للاساتذة الذين يجرون في تعليمهم على هذا المنهج حتى اذا بدا لهم ملاحظات في تطبيق هذه الخطط قيدوها على الفور في تلك الصفحات البيضاء ، وهي طريقة حسنة جداً في ترقية فن التعليم . والكتاب عدا ما فيه من دروس العلوم اللازمة للمبتدئين تضمن المسائل المهمة من علم الصحة والتدريب اليدوي ورياضة الجسم واصول الدينين الاسلامي والمسيحي واللغة الانكليزية وقد رأى واضع المنهج حالة الشعب العربي فأودعه تراجم طائفة كبيرة من رجال العرب المشهورين وغيرها مما لهم مما ينفث في نفس الناشئ حب وطنه وتاريخه فشكراً لواضعي هذا المنهج وعسى ان لا يفوت علماء التربية في بلادنا الاطلاع عليه . «المغربي»

مجموعة ثمينة

عدلنا عن جعل العنوان (آخر بني سراج) الى (مجموعة ثمينة) لانه الوصف المنطبق على هذا المجموع وليست (رواية آخر بني سراج) الا بعضاً منه :

كان امير الكتاب الامير شكيب ارسلان نقل الى العربية (رواية آخر بني سراج) لمؤلفها (الفيكونت دوشاتو بريان) الكاتب الافرنسي الشهير ثم رأى مجال القول ذا سعة فأتبع الرواية بخلاصة تاريخ الاندلس الى سقوط غرناطة وهو الوقت الذي عاش فيه بطل الرواية : آخر بني سراج . وقد كانت هذه الخلاصة التاريخية بالنسبة الى الرواية نسبة ذنب الطاووس الى سائره . ثم نفدت نسخ الرواية ولا عجب لان صاحبها الامير شكيب . فكان نفادها باعثاً له على اعادة طبعها لاسيما انه وقع له آثار تاريخية نفيسة تتعلق بموضوع الكتاب اعني تاريخ الاندلس فاضافها اليه وهذه الآثار هي كتاب (اخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر) لمؤلف اندلسي شهد وقائع سقوط الاندلس بنفسه . ورسائل

اربعة كتبها (ابوالحسن علي) سلف آخر ملوك غرناطه (بين سنتي ١٤٧٠ و١٤٧٥) وطبعت كلها في مطبعة مجلة المنار المشهورة بالعناية بمطبوعاتها · والمجموع بجملته من خير ما يلذ القراء و يوسعهم علماً وتاريخاً وتحقيقاً فهو جدير بان لا نفوت احداً من ابناء الضاد مطالعته والاستضاءة به ·

له

شعراء النصرانية

اهدت الينا مطبعة الآباء اليسوعيين القسم الثاني من كتاب (شعراء النصرانية بعد الاسلام) الذي ينشره الاب لويس شيخو تباعاً في مجلة (المشرق) وهذا القسم يتضمن الكلام على شعراء الدولة الاموية وهم (هدبة بن الخشرم وموسى بن جابر وشمعلة التغلبي واعشى بني تغلب واعشى بني ربيعة ومرقس الطائي ونابغة بني شيبان وحنين الحيري والاخطل التغلبي والقطامي التغلبي وكعب بن جعيل والعديل بن الفرخ والعجاج بن رؤبة · والكتاب غزير المادة طافح بالفوائد التاريخية والادبية واللغوية فنشكر للأب المؤلف عنايته ونتمنى له فضل توفيق · في التدقيق والتحقيق ·

له

أصول مسك الدفاتر

كتاب لطيف الحجم لا يتجاوز مئة الصفحة لكنه تضمن الفوائد الجمة من هذا الفن فن (مسك الدفاتر) وقد راعى مؤلفه الاستاذ السيد عارف التوام في وضعه حالة الصنوف السادسة الابتدائية حسبما تقرر اخيراً في برنامج وزارة معارف دولة سورية ويتخلل الكتاب جداول وقوائم حسابية وصور فواتير ووصولات وغيرذلك مما يوضح مسائل هذا الفن ويجعلها راسخة في نفس الطالب اعظم رسوخ · فنشكر للمؤلف اهتمامه ونلفت انظار الحسّاب والتجار اليه ·

له

معارف العراق

« والمكتبة العامة فيها»

اهدت الينا مديرية المعارف العامة في حكومة العراق تقريرها السنوي عن سير المعارف لسنة (١٩٢٤ — ١٩٢٥) وقد تصفحنا ذلك التقرير فوجدنا العناية بالمعارف في تلك الديار والاهتمام بالنهضة العلمية او بالتربية والتعليم فيها قد بلغ مبلغاً عظيماً

ولا عجب فان زمام ادارة المعارف بيد المربي الكبير الاستاذ السيد ساطع الحصري الذي لا يقيم للنظريات وزناً ما لم يدعمها العمل والتجربة والاختبار و يتولى كل ذلك هو بنفسه فيؤلف و يرشد رفاقه الى التأليف و يشرف على المعلمين اثناء التعليم و يعقد مجالس محاضرات يتبارى فيها اساتذة المدارس ومعلموها في طرائق التربية والتعليم واية هذه الطرائق هي الاسهل والاقرب ايصالاً وكثيراً ما شاركهم هو بنفسه في هذه المحاضرات والمناظرات . وقد نظم تقريره المذكور تنظيماً حسناً مزيناً بالجداول ورسوم المقايسات والمقارنات بين حالة المعارف والتعليم في السنين المختلفة والاحوال المتباينة وافتتح التقرير بالكلام على (المدارس الابتدائية) ووصف مختلف احوالها ثم (المدارس الثانوية) ثم (مدارس المعلمين) ثم (مدارس الصناعة) (فكلية الحقوق) (فالبعثات العلمية) الى خارج العراق (فالمدارس الاهلية) (فتعليم الاميين والتدريس الليلي) (فالكشافة) « او نسميها مدارس الفتوة » (فالمكتبة العامة) ثم ختم التقرير باحصاء عام ومقايسات عامة مما يشعر بتحقق الفرق في النهضة التعليمية في عهد مديرها الحالي والعهد السابق وقد جاء في التقرير مما يتعلق بالمكتبة العامة ما يلي :

« ان مكتبة السلام وقعت في ضيق مالي فرأت لجنتها الادارية من المصلحة العامة تسليمها الى وزارة المعارف وقبلتها الوزارة وخصصت لها محلاً في المدرسة الثانوية . وزادت في عدد كتبها زيادة مهمة . وكونت بهذه الصورة نواة للمكتبة العامة . والمكتبة مؤلفة في الحالة الحاضرة من قاعة خصصت لحفظ الكتب وقاعة كبيرة أخرى أعدت للمطالعة ومن حديقة صغيرة . ولها باب مستقل من الشارع عدا بابها الذي يوصلها الى حديقة المدرسة الثانوية . فتفتح المكتبة اوقات الظهر من بابها الداخلي لاجل طلاب الثانوية ووقت العصر من بابها الخارجي لعامة المطالعين . ان عدد الكتب التي تسلمتها المعارف من مكتبة السلام (٤٢٨٣) منها (١٤٢٧) عربية و (٢٣٥٠) انكليزية و (٣٤١) افرنسية و (١٦٥) تركية وفارسية . وقد اضافت المعارف الى هذا العدد (٢٠٤٢) كتاباً منها (٧٤٨) عربية و (١١٠٥) انكليزية و (٨١) افرنسية و (١٠٨) تركية وفارسية فاصبح مجموع كتب المكتبة (٦٣٢٥) منها (٢١٧٥) عربية و (٣٤٥٥) انكليزية و (٤٢٢) افرنسية و (٢٧٣) تركية

وفارسية . ويختلف عدد المطالعين الذين راجعوا المكتبة في كل شهر بين (٨٠٠) و (١٢٠٠) وعدد الكتب التي طالعوها بين (٢٣١) الى (١٠٠١) عدا المجلات والمعاجم التي تبقى عادة لدى المطالعين في كل الاحيان » اه . ك

فن التربية

الاستاذ السيد ساطع الحصري مدير معارف الحكومة العراقية اشهر عربي تخصص في فنون التربية والتعليم لذلك كانت آثاره ومصنفاته في هذين العلمين مما يحرص عليه اساتذة المدارس ورجال التعليم قاطبة . ومن عداد آثاره الثمينة كتابه الشهير (فن التربية) الذي جمع فاوعى من مسائل هذا الفن واصوله العامة . وقد عمد الى هذا الكتاب اخيراً (السيد كامل نصري) استاذ التربية والتعليم في مدرسة التجهيز والمعلمين بدمشق — فنقله الى اللغة العربية وافرغه في احسن القوالب من اساليبها وقد جاءت الترجمة في جزئين لطيفين بلغا نيفاً وثلاثمائة صفحة مزينة ببعض الرسوم . الاول منها في التربية الجسمية والثاني في التربية الفكرية فلا جرم ان يكون لهذا الكتاب رواج عظيم بين رجال المعارف واساتذة التربية في بلادنا فيقبلوا على تدريسه والاغتراف من معينه واننا لنشكر معرب الكتاب على عنايته كما اننا لا ننسى المؤلف البارع من نصيبه العظيم في الشكر والاعجاب . ك

تاريخ الطب عند العرب

موضوع محاضرة نفيسة كان القاها احد اعضاء مجمعنا العلمي الاستاذ السيد عيسى اسكندر المعلوف في ردهة المعهد الطبي بدمشق وقد كان الاستاذ الموماليه القى في الردهة المذكورة محاضرة في (تاريخ الطب عند الامم القديمة) نشرت في مجلة المعهد الطبي ثم على حدتها وهذه المحاضرة الثانية ايضاً بعد ان نشرت في المجلة المذكورة قام بطبعها على حدة الدكتور مصطفى الخالدي احد اساتذة الجامعة الاميركية وقد زينها برسوم طبية وجراحية كما علق عليها حواشي تعميماً لفائدتها و بالجملة فان هذه المحاضرة مما ينبغي مطالعته لكل طبيب وطالب طب . ك

(علم الاجتماع)

وضع الاستاذ الفاضل نقولا الحداد صاحب (مجلة السيدات والرجال) المشهورة كتاباً نفيساً في فن الاجتماع قسمه الى قسمين او كتابين . جعل الاول في (حياة الهيأة الاجتماعية) والثاني في (تطور الهيأة الاجتماعية) . وقد اصدر الكتاب الاول ووعد باصدار الثاني في هذه السنة . والكتاب الاول يبلغ (٣٥٠) صفحة من القطع المتوسط استوعب فيها اهم مباحث هذا الفن وجمع الشوارد من مسائله وقد استكثر من الامثلة والشواهد التي تساعد على فهم الاصل الاجتماعي ورسوخه في ذهن القارئ وتوخى فيها ان تكون من حوادث الشرق الادنى ووقائعه السياسية والاجتماعية والاخلاقية الاخيرة فكان الكتاب كتاباً مدرسياً كما انه كتاب مطالعة وتاريخ وسياسة . وكنا ونحن نتصفحه ونستفيد من درر مباحثه نقف وقفة الريب في صحة بعض ما ذكره المؤلف : من ذلك قوله في مقدمة الكتاب ان ابن خلدون لم يكتب مقدمته في فن الاجتماع وانما كتبها في بيان شؤون عصره السياسية . وقوله في (ص ٢٤٤) ان الطرائق الصوفية تقاوم الطبيعة في الامتناع عن الزواج . ولو قال الطرائق الرهبانية لكان أظهر . وقوله (ص ١١١) ان الدولة العثمانية كانت تتعمد في الحرب العامة تجويع اهل سورية . وفي (ص ٢٨٧) قسّم عوامل مقاومة تكثير النسل الى قسمين (مَذعِيّة وحتمية) ولعل الاحسن ان يقول : (اختيارية واضطرارية) كما يظهر من تعريفي القسمين المذكورين . وكأن المؤلف ترجم الكلمتين عن اصلها الاعجمي ترجمة حرفية ولا ضرورة لذلك . وفي (ص ١٠٤) قال ان (الغوغاء) في اللغة ليس معناها الرعاع والاوغاد مع انهم ذكروا ان معناها السفلة وهم هم .

ومما ولده من كلمات اللغة العربية كلمة (نابه ينابه) كقاتل يقاتل اي جعله ينتبه ويفطن الى شيء خفي عنه . ولم يرد هذا الفعل في اللغة . ومما عرّبه اي ادخله الى العربية من الكلمات الاعجمية فعل (مَلْغَمَ) من (Amalgam) وهو ان يمزج بعض المعادن بالزئبق على شكل خاص . واستعمل كلمة (الطوطم) الاعجمية كما استعملها كتّاب العربية قبله . ويطلقونها على نسبة ابناء العشيرة الى امهم دون ابيهم . كما كانت عليه الحال في الامم القديمة الفطرية . وهي القرابة الطوطمية . وبالبيتهم سموها القرابة

الرحمية نسبة الى الرحم · اما تلك التي ينسب فيها ابناء العشيرة الى ابيهم فتسمى القرابة العصبية · فالعصب من جهة الآباء كما ان الرحم يكون من جهة الامهات · وبالجملة فان هذا الكتاب لاتحصى محاسنه · ولا تنفد فوائده · لا سيما ان المؤلفات في فنه قليلة جداً فالشكر لمؤلفه الفاضل ولناشره الأديب (السيد الياس انطون الياس) صاحب المطبعة العصرية بمصر — فانهما سدّا في المكتبة العربية ثلمة · واسديا الى ابنائها نعمة ·

فعسى ان يقبل جمهور الاساتذة والطلاب على الاستمتاع بهذا الكتاب · فيغترفوا من منهله العذب ، ويجتنوا من اعماق بحره اللؤلؤ الرطب · له

الجزء الثاني من معجم الادباء لياقوت
طبعة ثانية

لا يخفى ان معجم الادباء لياقوت طبع كله في مصر سوى الجزء الرابع وقسم من الجزء الثالث منه وقد ورد اخيراً الى ادارة مجمعنا الجزء الثاني منه فاذا هو طبعة ثانية لذلك الجزء اصدرته اللجنة المشهورة بلجنة (تذكار جيب الانكليزية) وتمتاز هذه الطبعة على سابقتها الطبعة الاولى بفهارس مفصلة ملحقة في آخر الجزء استوعبت اسماء الرجال واسماء الكتب الواردة في ذلك الجزء · ومن اجل سهولة المراجعة وُضعت في هوامش الصفحات ارقام تشير الى عدد السطور · وان اعادة طبع هذا الكتاب يدل على نفاد الطبعة الاولى لكن نفادها انما هو في مكاتب اوربا و بين المستشرقين من اهلها ونأسف ان كان نصيب قراء العربية في بلادنا مبخوساً ناقصاً من ذلك الكتاب النفيس فعسى ان يكون عدد النسخ من هذه الطبعة اوفر من عدد الطبعة الاولى وان يوفق العاملون على نشر الكتب الى الظفر بالجزء الرابع وتتمة الثالث المفقود من هذا الكتاب فيطبع وتكمل به الاجزاء وان المجمع ليشكر للمهدين هديتهم · له

بيان من المجلس الشرعي الاسلامي

في البيان الذي نشره في القدس هذا المجلس الذي اخذ على نفسه ادارة الاوقاف الاسلامية في فلسطين بيان وافٍ لاعماله في جلسة شهر آب وقد بلغ مجموع مارمم اوبني من العقارات الوقفية على اختلاف انواعها (عامة او مندرسة اوذرية) اكثر من ٢٠٠

ومن المساجد نحو ٤٠ وساعد مشروعات عمارة مساجد متعددة قام بها الاهالي أنفسهم ، وانشأ مدرسة للايتام آوى اليها حتى الآن ٢٤٠ لاتقان صناعة من الصناعات ، وقد بلغت الاعانات النقدية التي جمعت من بعض الاقطار الاسلامية لترميم المسجد الاقصى ٨٤ الف جنيه فشرع المجلس بالترميم فرفع الخطر عن القبة وغيرها . ومعلوم ان قبة المسجد الاقصى هي أجمل أثر باقٍ من آثار الحضارة العربية الاسلامية . والمجلس ساعٍ بالمحافظة على الآثار الاسلامية وقد رمّ مأذنة الجامع الكبير في الرملة التي بنيت في زمن عبدالملك بن مروان كما أثبت ذلك المعمار كمال الدين بك وأسس داراً للآثار الاسلامية تجمع الآن كثيراً من التحف النادرة والكتب القديمة الخطية ومجموعة نادرة من القاشاني القديم وغير ذلك من الآثار القديمة . وللمجلس نحو ٢٤ مدرسة فيها ٢٠٠٠ تلميذ تبلغ نفقاتها ١٣ الف جنيه وقد أسس داراً للكتب في المسجد الاقصى في القدس وأنشأ داراً للكتب في يافا . م . ك

الآيات العصرية

للسيد حبيب شماس طبع في بيروت بمطبعة مكتبة صادر سنة ١٩٢٥ ص ٢٤

هو مجموع قصائد ومقالات لاشهر الشعراء والكتاب في الشام ومصر والعراق واميركا محلى ببعض صورهم وقد حل جامعه بعض الالفاظ اللغوية التي وردت في قصائد هؤلاء الشعراء المعاصرين وليته اقتصر على بعض من هم حجة في الادب العصري فقد ادخل في الغمار أناساً من الكتاب والشعراء كان الاولى لو خلت مجموعته من اقوالهم خصوصاً وهو يريد ان يجعل كتابه مدرسياً فعساه ينظر في ذلك في طبعة ثانية وينقحه تنقيحاً حسناً ولا يغفل عن الاستشهاد بمقالات وقصائد لمشاهير هم احرياء ان يتناقل الناس ما كتبوا ونظموا . م . ك

الدليل اللبناني السوري

لصاحبيه السيدين الياس وجرجي جدعون طبع بمطبعة جدعون في بيروت سنة ١٩٢٥ ص ٣٧٠

ما زال هذا الدليل يصدر كل سنة آخذاً بحظ من التحقيق والبحث وقد صدر هذا